# الغيب الألهي
# عالم يقيني عجيب

شاكر عبد الجبار

الشيء الموجود تستطيع إدراكه أو لا
تستطيع أما المنفي فهو عدم محض..!
أين موقع (الغيب) من هذا وذاك..
هذا الكتاب يقدم إجابة..!

الطبعة الأولى - تموز ١٩٨٥
الطبعة الثانية - مايس ١٩٩٠
فيها إضافات مهمة

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَعِندَه مَفاتِحُ الغَيبِ لا يَعلَمُها إلا هو»

الآية ٥٩ سورة الأنعام

# إهداء

إلى كل إنسان يحترم العقل ويكبر العلم ، يصغي للحجة ويرضخ للحق ، إنها دعوة إلى كلمة سواء وهي تبليغ لأمر الله تعالى..!

# لاسبيل لنفي الغيب

ما أشد ظلم الكثيرين لعالم الغيب في هذا العصر..!!

ليتهم ينفونه عن طريق العلم والخبرة والإنصاف..!

إنهم ينكرون وجوده لكونهم لا يتلمسونه حساً..!

فهل أنهم يعتبرون كل ما يقع وراء الحس معدوماً ..؟ وهل أنهم يحتاطون لأنفسهم عندما ينكرون العالم الغيبي احتراماً لعقل لا يؤمن إلا بحقائق محسوسة عياناً أو باليد..؟ أم أنهم يحرصون على الطعن بحقيقة الغيب تهرباً من عقيدة يلزمهم الإيمان بها أن يتحملوا تبعات معينة..؟

الجواب إن نفي وجود العالم الغيبي يتم دون علم ودون خبرة ودون انصاف إطلاقاً.. فلو كان المعول عليه هو سبيل العلم والخبرة والإنصاف لما جرؤ أي ناكر على ارتكاب خطأ مفضوح كهذا..!

كيف..؟ أغلب النفاة يزعمون أنهم (علميون) تهمهم وقائع ومسلمات (العالم المادي) لأنه مشاهد ملموس ولا تعنيهم (الغيبيات) لأنها أفق مجهول غير محسوس..!

حسناً .. ولكننا نعترض متسائلين :

لمَ تؤمنون بالعقل وتذهبون الى حد تأليهه أحياناً وأنتم لا ترونه قطعاً مقتصرين على آثار تدل عليه لا يمكن اغفال شأنها..!؟ ولمَ تؤمنون بالجاذبية وأنتم لا ترونها البتة سوى أنكم تلمسون آثارها..!؟ ولمَ تؤمنون بالذرة وعنصريها البروتون والنيترون وأنتم لا ترونها بعين أو مجهر ولكنكم تفترضون وجودها فقط وتبنون على الإفتراض نتائج تصدقها آثار الواقع والتطبيق..!؟ ولمَ تؤمنون بقوة الكهرباء وأنتم لاترونها ولكنكم ترون ما تحدثه من آثار..!؟ وغير ذلك كثير تؤمنون به ولا ترون جرمه حساً مكتفين برؤية الآثار التي تدل عليه فقط..!

إنه تناقض واضح ياهؤلاء تعريه العلوم المادية التي تباهون الناس زوراً بأنكم تتمسكون بقوانينها وتجرون وراء كشوفاتها..! وهو كذب مكشوف أيضاً..!

يذهب أكابر علماء المادة في العصر الحديث إلى أن الشيء المجهول لا يمكن

نفي وجوده بدون دليل يقطع بذلك ، ولو ساغ لأحد عدم الإيمان بالمجهول فإن الزعم بأنه عدم محض لهو أسخف الهراء..![1].

النفي يدل على قصد ووعي ويقين ولذا فهو يستلزم بصائر من علم وأدلة وبراهين ، ذلك أن الجهل بالشيء لا يدل على أنه عدم..! فحذار من القول الجزاف سمة الخابطين في عشواء..!

الحركات الخمس لكوكبنا وقوانين الجاذبية وملايين الأجرام والمجرات هذه الأشياء - مثلاً - التي اكتشفت حديثاً هل يعني بقاؤها مجهولة حقباً طويلة أنها لم تكن موجودة أصلاً قبل الإكتشاف..؟

كلا بالطبع..! وكم من أشياء في هذا الكون لم تكتشف بعد ..!؟ إنها مجهولة ولكنها ليست عدماً..! لنسجل هنا أن عيب التقصير والتقاصر تجاه الأشياء المجهولة يقع على الإنسان ولا يدعو البتة الى نكران وجودها من غير دليل..!

وفي الجانب الآخر لنتساءل : هل الإيمان بعالم الغيب يعني الإيمان بما لا وجود له أصلاً ..؟ لا يستطيع أحد يحترم عقله أن يجيب بـ (نعم) ، وقصارى ما قد يذهب اليه البعض هو الإدعاء بأن عالم الغيب مجهول..! وعندئذ نحن أمام تحري الآثار الدالة يقيناً على وجود هذا العالم..!

قل لي بربك : لو كان عالم الغيب لا وجود له إطلاقاً هل من العقل أن يراد منا الإيمان به ..!؟ ومن يريد ذلك..!؟ رب خلق هذا الكون العظيم وأبدعه ويدبر كل شأن فيه..! إن طلباً كذاك لا يصدر من طفل صغير فكيف نعقل صدوره ممن هو خالق حكيم خبير..!؟

ذلك إذن هو اعصى المستحيلات..! ومن هذا يخلص لنا أن الغيب موجود مجهول ، والله عز وجل المحيط بالكون كله هو الذي ينبئنا بعالم الغيب والكثير من ملامحه ويريدنا أن نؤمن به..!

يبدو أننا قد اقتربنا من العلة ، إنها تكمن في الإيمان بالله تعالى .. فمن وجد هذا الإيمان إلى قلبه سبيلاً اتضحت الصورة بكل ملامحها أمامه حيث أنه يستيقن دلائل الغيب مثلما يرى حقائق العالم المشاهد المحسوس..!

---

(١) ينظر (الله يتجلى في عصر العلم)ص١٤٤ موضوع (وجود الله حقيقة مطلقة) للعالم الفسيولوجي أندرو كونو.

وعندما أقول (يستيقن) دلائل الغيب فإني اقصد معنى العبارة تماماً ، فليس هو الإيمان التقليدي ، وليس هو التسليم بلا معرفة ، وليس هو اتباعاً لغير المعقول..!

لنتصفح إذن قصة الغيب المدونة في القرآن الكريم بكل عناصرها لكي نقف على جلية الأمر.. ودع عنك القلق وشبح اليأس وكن مطمئناً وأنت تتابع تلك القصة لأنها مسطورة في كتاب يقول عنه المنزل الحكيم «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[٢] و«كتاب أحكمت آياته»[٣] و«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»[٤].

إن قصة الغيب الالهي مجملة بين دفتي هذا الكتاب المجيد.. لماذا أوردت فيه..؟ لأنه إجمالاً يعتبر الإيمان بهذا الغيب شرطاً لعقيدة التوحيد المكتملة بالإسلام دين الله تعالى للناس جميعاً على هذا الكوكب إلى يوم القيامة..!

فلنقف على حدود الغيب المجمل في القرآن..! وما أروع كلمة (حدود) فكأنك تقف أمام حصن عالٍ منيع يراد منك أن تسلم بأنه موجود دون السماح لك بالولوج فيه الآن..! ما أنت فاعل..!؟ أتنفي وجود الحصن..!؟ أم تقر بوجوده وتمسك عن لمس التفاصيل المخبأة..!؟

تعال أولاً نتابع القصة موظفين العلم والخبرة والإنصاف ظفراً بالحقيقة..! ولا تساورني ذرة شك بأن شأناً آخر سيكون لك نحو الغيب الالهي فيما بعد إن توفر في قلبك صفاء نية وخلوص قصد وحسن توجه..!

اللهم لا سهل إلا ما يسرته فقوِ كواهلنا واشدد عزائمنا وأحط خطانا بالسداد وحف طريقنا بالتوفيق ومدنا بفيوض الرضوان إنك حسبنا ونعم الوكيل.. ربنا لك الحمد والشكر والثناء حق قدرك عدد ما تعلم أنه الأكثر والأدوم ، وصلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد الرسول وعلى آله ومن استمسك بنهجه القويم إلى يوم القيامة كما يليق بشأنه العظيم عندك عدد ما خلقت في الكون الأوسع وما أنت فيه خالق.

شاكر عبدالجبار شاكر
العزاوي

بغداد/صفر - ١٤٠٤هـ
تشرين الثاني - ١٩٨٣م

---

(٢) الآية ٤٢ سورة فصلت. (٣) الآية ١ سورة هود. (٤) الآية ٩ سورة الحجر.

# غيب معقول
# اللّــه

**وجوده**

الله غيب ، بمعنى أنه غير ملامس..!

ولكن المثير للإنتباه أننا نجد برهانه على وجوده يخاطب كل ما لدينا مُن حواس وأحاسيس ويهزها بقوة من الأعماق حتى لا يدع في النهاية أي شك يساور الإنسان العاقل الواعي الفطن النزيه وهو يسلم بأن الله تعالى حقيقة تملأ كل نواحي الوجود..!

وفي هذا الأمر بضع ملاحظات :

الأولى - البرهان تولاه هو ، وهذا شيء عظيم الدلالة.

الثانية - لم يجعل الغيب برهاناً أكبر على وجود الغيب.

الثالثة - جعل الحواس دليلاً الى الغيب.

الرابعة - بضدها تتميز الأشياء (الغيب والشهادة).

الخامسة - خلق يقود الى خالقه .

السادسة - الخالق أعلم بأي المخلوقات يحاورك بلوغاً للإيمان.

السابعة - هو أعرف بمواطن التأثر لديك .

فلنستمع الى كلماته تبارك وتعالى تمثيلاً :

«الحمد لله رب العالمين»[1].. مستحق الحمد كله ..! لماذا..؟ لأنه يربيك أيها الإنسان إمداداً بالنعم الجليلة القدر وفي طليعتها نعمة الوجود ، ولست وحدك وإنما هو يتولى العالمين بنعمه فهو ربهم الخالق المدبر الحقيق بالاستعلاء..!

نعم تناسب جداً حاجة الإنسان ، بل إنها تأتيه بقدر يدلل على نظر كلي واقتدار شامل ، وإن حاجة قد تتوقف عليها حياة الإنسان وهو لا يدري فإذا هي تنقاد اليه بيسر وإذعان وتسد الثغرة فيمضي كل شيء وفق ما يرام دون ضجيج وبلا فوضى..!

من فعل هذا..؟ نسمة الهواء - مثلاً - وشربة الماء وكثير كثير يفوق العد والإحصاء ، هل تحسسناه..؟ لا تقل لم أتحسس أهمية تلك النعم وسواها لأنك بهذا

---

(١) الآية ١ سورة الفاتحة.

الزعم تشير الى موت حواسك بينما هي يقظة عند التمتع ، فلمَ تدعي موتها عند الاقتراب من صاحب النعم الجدير بكل الحمد والعبادة..؟!

ويقول تعالى :«الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون.. وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.. وفي الأرض قطع متجاورات جنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون»[٢].

**قدرته**

إله موجود بتلك العظمة أيحتاج كثرة دلائل على قدرته..؟! لو لم يكن مقتدراً دون نظير وبلا شريك لما كان إلهاً..!

ورغم كل الوضوح يسوق اليك آيات مثل قوله تعالى :«وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين»[٣].. هو خلق كل دابة وخلق الأرض أيضاً وقد تكفل بالرزق اللازم المناسب للجميع ، فهل ثمة أحد سواه يقدر على ذلك ويدعيه..؟

لا أحد إلا هو يستطيع أن يخلق أي دابة ولو كانت نملة..! ولا أحد إلا إياه يستطيع أن يخلق حبة قمح واحدة فقط..! ولا أحد عداه يستطيع أن يتكفل برزق أي مخلوق وانما قد يتسبب في ذلك لا أكثر..!

أنت تعطيني - مثلاً - رغيف خبز ، هذا صحيح ولكنك لم تخلق الحب ولم تنبته ولم تسقه ماء أنت أوجدته ولم تجعله قمحاً يصلح للطحن والخبز والأكل إنما الله تعالى هو الذي أنجز ذلك كله وبإعجاز تام يأسر العقول..!

«بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون»[٤].. هو

---

(٢) الآيات ٢-٤ سورة الرعد.. وتنظر الآيات الدالة على وجود الله تعالى في (تفصيل آيات القرآن الحكيم) ص١٢٨ و ١٢٩ ، آيات كلها تحرك حواس الإنسان وتشدها بربه إذا هو أمعن النظر فيها وتدبر.

(٣) الآية ٦ سورة هود .

(٤) الآية ١١٧ سورة البقرة.

الخالق على غير مثال سبق.. إنه المنفرد بقدرة لايعيقها مستحيل ، فهو يقول للشيء كن وإذا هو كائن مثلما أراد بالضبط ..! هكذا القدرة وإلا كيف تكون..!؟

«ولله مافي السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً»[٥]..

الأرض التي ملأت حياتك أيها الإنسان إنها لله بكل محتوياتها يتحكم فيها كيف يشاء ويصرف أمورها وفق ما يريد..! وليست قدرته تقتصر على هذا الجرم وحده وإنما تهيمن على السماوات كذلك..! وما أعظم السماوات أسراراً وسعة وأشياء..! وليس ذلك فقط ، باختصار إنـه بكل شيء محيط..!

هل في القدرة معنى أوسع من الاحاطة..!؟

وتأمل جيداً ملامح أخرى للقدرة حيث يقول تعالى :

«وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.. وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجر حتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون.. وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون.. ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين.. قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين.. قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون.. قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون»[٦] «ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض»[٧] «قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار»[٨].

ديمومته

إله يملأ الحواس وجوده ويمتد سلطان قدرته الى كل شيء قريب أو بعيد معلن أو مستتر ضخم أو دقيق في كون عظيم فوق التصور والحسبان ، وله عليك أيها

(٥) الآية ١٢٦ سورة النساء.

(٦) الآيات ٥٩-٦٥ سورة الأنعام.

(٧) الآية ٦٦ سورة يونس.

(٨) الآية ١٦ سورة الرعد.. وتنظر الآيات الدالة على قدرة الله تعالى في (تفصيل آيات القرآن الحكيم) ص١٤٩-١٦٣ ، وكلما أحسن المرء تأمل هذه الآيات لاح أمامه أفق أعظم للاقتدار الإلهي.

الإنسان نعم في كل لحظة لا تعد ولا تحصى ، وقد بعث الرسل والأنبياء ومعهم كتب الهدى والتكليف أتراه يدعك في الحياة سدى..؟ أو إذا عصيت إرادته أيسكت عنك بلا مؤاخذة..؟

أيصح أن تعرف إلهاً هو الله تعالى بلا التزام نحوه..؟

ثم أتعقل حقاً أنك ستفلت من طائلة القضاء والحساب أمام ، من..؟ فاطر السماوات والأرض القوي العزيز الذي هو أقرب اليك من حبل الوريد وإذا أخذك لم يفلتك وإذا حق عليك عذابه فالويل لك إذ تقول ليتني لم أولد ولم أكن شيئاً فهيهات..!

يقول تعالى :«أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً»[9] «واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون»[10] «إن الى ربك الرجعى»[11].

يسلم له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وترفض أنت الإسلام له..!؟ من تكون ياهذا..!؟ اعمل ماشئت فما ربك سبحانه بغافل عن كل ما تجترح..! أوَليس المصير اليه..؟ أين المفر اذن..!؟

## الأقدار

### الإحياء والإماتة

ينبغي أن تتساءل: من أعطاني الحياة..؟ وهل أنها تمنح بلا إرادة وتوافق..؟ ومن القادر فعلاً على إحداث هذا الأمر العظيم..؟

يقول تعالى :«قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق»[1] «وهو الذي أحياكم»[2].. ربما تقول : كيف..؟ الجواب:«والله أنبتكم من الأرض نباتاً»[3].

أين هي المصادفة وعدم القصد..! أين هو العبث وعدم الارادة..!؟ فكونك كالنبات أصله من بذر غرس وأحيط بوضع يساعد على الإنبات وأعطي لوازم النمو

---

(٩) الآية ٨٣ سورة آل عمران. (١٠) الآية ١٢٣ سورة هود.

(١١) الآية ٨ سورة العلق .. وتنظر الآيات المماثلة في (تفصيل آيات القرآن الحكيم) ص١٢٨-١٦٨. (١) الآية ٢٠ سورة العنكبوت. (٢) الآية ٦٦ سورة الحج.

(٣) الآية ١٧ سورة نوح.

والصلاح وتحقق كل المقاصد الحسنة ليجزم بنفي المصادفة واستبعاد عدم الإرادة ويدل على الخالق أوضح دلالة..!

أتدري أن جسمك والنبات مكونان من أصل واحد هو مادة الأرض بعناصرها المعروفة كالماء والملح والحديد والفحم والرصاص وغيرها ، وأن جسمك والنبات يغذيهما ثدي الأرض الواحد كذلك بعطائه الضروري المناسب لكل منكما..؟

ما أروع ذلك التشبيه الدقيق «والله أنبتكم من الأرض نباتاً»..! أوَليس هو تشبيه الخالق سبحانه الخبير بالإنسان الخبير بالأرض..!؟ تبارك الله العظيم..!

كيف يكون وضوح الأمر إذا تكلم الخالق إياه من وراء الغيب عبر كتابه الخالد قائلاً :«قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون»[٤].

أفلا تتضح معالم الصورة وتزول بقايا اللبس..؟ نعم..! «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» فلو أنهم نالوا العلم الضروري الصحيح لما كان هناك حيرة وقلق وضياع..!

وبالتالي دعنا نتساءل :أفلا يملك الاماتة من يملك الإيجاد والنشأة والتدبير..!؟ إن الهدم أقل عناءً من البناء ، أليس كذلك..!؟ وفي المنطق الإلهي فإن الأمر ليس مجرد هدم بعد بناء ...!

يقول تعالى :«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور»[٥].. هو جل شأنه خلق الموت والحياة لأهداف كبرى تليق بالإله العظيم..! خلق بشراً ليكتسب في حياته العمل الحسن فيجد من ربه أخيراً غفران التقصير وكرم الجزاء ، وإن هو أساء فإنه لايضر رباً هو القوي العزيز في ملكه وإنما على نفسه يجني..!

ولماذا يعصي الإنسان إلهه الكبير المتعال ويفرط في جنبه ويعبث بنعم الحياة وفي مقدمتها نعمة الوجود ولايبالي وهو عارف مستيقن أنه الى الموت يسير كل لحظة..!؟

«كل نفس ذائقة الموت»[٦] و «أينما تكونوا يدرككم الموت»[٧] «والينا

---

(٤) الآية ٢٦ سورة الجاثية .
(٥) الآية ٢ سورة الملك.
(٦) الآية ٣٥ سورة الانبياء .
(٧) الآية ٧٨ سورة النساء .

ترجعون»[٨] الموت قادم لا محالة..! والى الله تعالى المصير..! فعلام العصيان والتفريط والعبث ونحن نعدو سريعاً اليه..؟!

## تصريف أمور الكون

والتدبير الإلهي لايقتصر على الإنسان ، إنه يتناول كوناً لانرى له حدوداً ولن يدرك مخلوق أطرافه..!

يقول تعالى :«ألم ترَ أن الله سخر لكم مافي الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم»[٩] «وهو على كل شيء وكيل»[١٠] «وكل شيء عنده بمقدار»[١١] «إن تكُ مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله إن الله لطيف خبير»[١٢].

ما من شيء ولو كان مثقال حبة من خردل في جوف صخرة أو في مكان قصي إلا هو واقع تحت طائلة التصريف الرباني..! فكم في السماوات والأرض والكون كله من مخلوقات..!؟ وكم هناك من أشياء وجدت تسخيراً..!؟

وليس هذا فقط..! وإنما يتم كل الخلق والتدبير والتحكم بقدر يوصف بأنه منتهى الدقة والضبط والإحكام..! فالذرة على ضآلتها لاتزيد أو تنقص إلا في إطار نظام شديد الصرامة رفيع المستوى يصنع العجائب..!

## عدل إلهي

كل شيء يصرفه الخالق عز وجل بالقسط فلا ظلم ولا جور ولا طغيان ، وليس هذا بافتراض وإنما سمت العدل الإلهي مشاهد في كل نواحي الكون ، ولو أن أفعال الوجود كانت خارجة عن ضوابط العدل وموازينه لما استقام الخلق..!

لماذا..؟ لأن الله تعالى هو الحق وأقام ملكه على الحق..! «وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق»[١٣].

ولقد جعله صلب رسالاته : «قل أمر ربي بالقسط»[١٤] «وأقسطوا إن الله يحب المقسطين»[١٥] «والسماء رفعها ووضع الميزان.. ألا تطغوا في الميزان..

(٨) الآية ٣٥ سورة الانبياء .
(٩) الآية ٦٥ سورة الحج.
(١٠) الآية ٦٢ سورة الزمر.
(١١) الآية ٨ سورة الرعد.
(١٢) الآية ١٦ سورة لقمان.
(١٣) الآية ٧٣ سورة الانعام.
(١٤) الآية ٢٩ سورة الاعراف.
(١٥) الآية ٩ سورة الحجرات.

وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان»[١٦] «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى»[١٧].. العدل أولى بالاعتبار ، فالقربى لاتزن شيئاً الى جواره إذا تعلق الأمر بكلمة تنطقها تتوقف عليها سلامة حقوق يهددها الضياع والنهب والطمس..!

فماذا بعد العدل إلا فساد القيم واضطراب المجتمع..؟

حتى وشيجة القربى تنهار في النهاية إن حلت القيم الفاسدة في موضع العدل، فلا تقل (أريد رعاية القربى ولا بأس إن تم ذلك على حساب العدل مادامت مصلحة تتحقق)..! لأن شبح الفساد إذا خيم واستقر التهم الأخضر واليابس ، ويصل الأمر الى أن يأكل القريب حقوق قريبه حرصاً على مطمع تافه مادام العدل غائباً وسلطان الفساد متربعاً / فصل بين الناس بأنياب طويلة..!

وعندما تقيم أيها الإنسان دولة فوق الأرض تطبق العدل بحذافيره كما أوصى الخالق سبحانه وبيَّن فستتصور يقيناً من خلال هذه الظلال الوارفة أي كون عظيم يسوسه ربك عز وجل بالقسط.. وكذلك عندما تحيد عن العدل وتقيم لفساد القوانين دولة فسيتصور العقلاء يقيناً من خلال غابة يعيش فيها البشر وحوشاً أي كون عظيم هو الخالي من فساد القوانين والمنيع بسيادة العدل ، ومن هنا يستشهدون بسلامته من الاضطراب والانهيار منذ الأزل..!

## مشيئة الخالق

إنها إرادة الخالق الأحد جل جلاله تسري وتنفذ كيف يشاء وحيث يريد «له الخلق والأمر»[١٨] «لا معقب لحكمه»[١٩] وبفعل الإرادة العظمى هذه أقيم الكون كله وهو ماضٍ قدماً حيث اختار له مالك الزمام سبحانه «قل إن الأمر كله لله»[٢٠].

فلا تقل مثلاً (إذا أردت قتل فلان لا أحد يستطيع الحيلولة دون ذلك) وإنما عليك أن تتذكر أن حجراً قد تقذف به رجلاً فيخر صريعاً في الحال ورصاصة قد تطلقها على آخر تصيبه بها ولكنه لايموت ، فأمر انتزاع الحياة لايعود لك ولا لحجر ولا لرصاصة وإنما هو بيد الله تعالى وحده القادر على جعل الحجر مميتاً والرصاصة لاتميت وجعل هذا الجسم يتمالك شأنه أمام الخطر الداهم وذاك يتهاوى بفعل شبح أو بدون أي خطر عارض أحياناً..!

(١٦) الآيات ٧-٩ سورة الرحمان.
(١٧) الآية ١٥٢ سورة الانعام.
(١٨) الآية ٥٤ سورة الاعراف.
(١٩) الآية ٤١ سورة الرعد.
(٢٠) الآية ١٥٤ سورة آل عمران.

يقول تعالى :«فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»[٢١] «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً»[٢٢].. قوانين الحياة والموت وكل ما يرتبط بهما من أفعال ومقادير إنما تسري بإرادة الخالق جل وعلا وحده..!

## مسؤولية المخلوق

وإذا كانت إرادة الخالق تهيمن على الكون كله فهل يعني هذا أن الإنسان مسلوب الإرادة يعمل ويمضي بلا اختيار ويهتدي ويضل بلا اختيار ويكافأ ويعاقب بلا اختيار..؟ لو لم يعط الإنسان إرادة لما كان ثمة داعٍ لإرسال النبيين وإنزال كتب الهدى والوعد بالمكافأة والتوعد بالعقاب..!

قد يقال إن الله تعالى ذكر في كتابه «يضل من يشاء ويهدي من يشاء»[٢٣].. فما يصنع الإنسان نحو الإرادة العظمى هذه عندما تقتضي إضلال هذا وهداية ذاك..؟!

إن معنى الهداية والاضلال هنا يدل على أن الله تعالى هو الذي أوجد قوانين السبب والمسبب وأطلق لها حرية العمل في الوجود.. فمن جاع أكل فشبع ، ومن لم يأكل لن يحصل له الشبع ، وكذلك المؤمن بالله يهتدي ومن جحده يضل ، وأي عمل صالح يعقبه ناتج من جنسه وأي عمل سيئ يعقبه ناتج مماثل..!

اقرأ هذه الآيات :«فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدي القوم الفاسقين»[٢٤].. «كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار»[٢٥].. «ويهدي اليه من أناب»[٢٦].. «والذين اهتدوا زادهم هدى»[٢٧].. أولئك زاغوا ومن ثم أزاغ الله قلوبهم ، وهؤلاء اهتدوا ومن بعد زادهم الله هدى..!

إنك لن تجد في القرآن - مثلاً - آية تقول إن الله تعالى يضل من أراد الهداية وحرص عليها أو يهدي من أراد الضلال وتعلق به فهذا محال في سنن الخالق وطبيعة الوجود كله..![٢٨]

(٢١) الآية ١٧ سورة الانفال.
(٢٢) الآية ١٤٥ سورة آل عمران.
(٢٣) الآية ٩٣ سورة النحل.
(٢٤) الآية ٥ سورة الصف.
(٢٥) الآية ٣٥ سورة غافر.
(٢٦) الآية ٢٧ سورة الرعد.
(٢٧) الآية ١٧ سورة محمد.
(٢٨) للتوسع تنظر (رسالة في القدر) للفقيه التابعي الحسن البصري وجهها الى الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان ، نصها الكامل في (الفكر الاخلاقي العربي) للدكتور ماجد فخري.

# الملائكة

**وجودهم**

يقول تعالى :«وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون.. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»[1] «وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً»[2]،«وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم ويسألون»[3]،«وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون.. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.. قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.. قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين»[4] «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به»[5] «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[6]«ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ.. فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف إنا أرسلنا الى قوم لوط»[7] «والصافات صفاً.. فالزاجرات زجراً.. فالتاليات ذكراً.. إن إلهكم لواحد»[8].

وفي الحديث النبوي (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم»[9]..فنفهم:

أولاً - الملائكة عالم مستقل لا يشبه عالمنا الإنساني وطبيعة خلقهم من مادة النور تختلف عن طبيعة خلقنا.

ثانياً - ليس فيهم ذكور واناث.

(١) الآيتان ٢٦و٢٧ سورة الانبياء.
(٢) الآية ٦٤ سورة مريم.
(٣) الآية ١٩ سورة الزخرف.
(٤) الآيات ٣٠-٣٤ سورة البقرة.
(٥) الآية ٧ سورة غافر.
(٦) الآية ٦ سورة التحريم.
(٧) الآيتان ٦٩ و٧٠ سورة هود.
(٨) الآيات ١-٤ سورة الصافات.
(٩) رواه مسلم.

ثالثاً - خلقوا قبل الإنسان.
رابعاً - البشر أفضل منهم.
خامساً - مخلوقات كريمة لايسبقون ربهم بقول ويعملون بأمره.
سادساً - طبيعتهم جبلت على الإيمان الكامل.
سابعاً - لايعلمون الغيب إلا ماشاء الله أن يطلعهم عليه.
ثامناً - اقتدارهم على الحركة يفوق التصور الإنساني.
تاسعاً - إمكانهم التمثل بالصور الحسية كشكل الإنسان مثلاً.
عاشراً - تكليم الله تعالى لهم.
حادي عشر - قسم الله تعالى بهم.

## كبار الملائكة وعمومهم

يقول تعالى :«الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير»[١٠] «الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء إن الله على كل شيء قدير»[١١] «ومامنا إلا له مقام معلوم»[١٢] «وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى»[١٣]..فنفهم:

أولاً - إن أقدارهم تتفاوت.
ثانياً - إنهم أولو أجنحة بعددها يتميز كل واحد منهم قدراً وقدرة.
ثالثاً - يصطفي الله منهم رسلاً الى الأنبياء والصديقين.
رابعاً - لبعضهم شفاعة عند ربهم بعد إذن ومشيئة ورضى.

## أمين الوحي

يقول تعالى :«قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين.. من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين»[١٤] «وإنه لتنزيل رب العالمين.. نزل به الروح الأمين.. على قلبك لتكون من المنذرين»[١٥] «قل نزله روح القدس من ربك بالحق»[١٦].

(١٠) الآية ٧٥ سورة الحج. (١٣) الآية ٢٦ سورة النجم. (١٦) الآية ١٠٢ سورة النحل.
(١١) الآية ١ سورة فاطر. (١٤) الآيتان ٩٧و٩٨ سورة البقرة.
(١٢) الآية ١٦٤ سورة الصافات. (١٥) الآيات ١٩٢-١٩٤ سورة الشعراء.

وسأل الحارث بن هشام رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، كيف يأتيك الوحي..؟ قال :(أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم[١٧] عني وقد وعيت عنه[١٨] ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)[١٩].. فنفهم:

أولاً - جبريل عليه السلام هو أعلى الملائكة مقاماً.

ثانياً - هو ناقل رسالة الإسلام وحياً الى خاتم الأنبياء.

**عملهم**

يقول تعالى :«له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله»[٢٠]«إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد.. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»[٢١] «وأن عليكم لحافظين..كراماً كاتبين.. يعلمون ما تفعلون»[٢٢] «إن كل نفس لما عليها حافظ»[٢٣] «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون»[٢٤] «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون»[٢٥] «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون»[٢٦] «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون.. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون»[٢٧] «هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً»[٢٨] «ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِهم عذاب الجحيم»[٢٩] «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين.. إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان.. ولو ترى إذ

(١٧) أي يقلع.
(١٨) أي حفظت.
(١٩) رواه البخاري.
(٢٠) الآية ١١ سورة الرعد.
(٢١) الآيتان ١٧ و ١٨ سورة ق.
(٢٢) الآيات ١٠-١٢ سورة الانفطار.
(٢٣) الآية ٤ سورة الطارق.
(٢٤) الآية ٦١ سورة الانعام.
(٢٥) الآية ٣٢ سورة النحل.
(٢٦) الآية ١١ سورة السجدة.
(٢٧) الآيتان ٣٠ و ٣١ سورة فصلت.
(٢٨) الآية ٤٣ سورة الاحزاب.
(٢٩) الآية ٧ سورة غافر.

يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق»[٣٠] «ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون»[٣١] «لاتبقي ولاتذر..لواحة للبشر.. عليها تسعة عشر.. وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وماجعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا»[٣٢] «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية»[٣٣] «ونادوا يامالك ليقضِ علينا ربك قال إنكم ماكثون»[٣٤] «جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب.. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»[٣٥] «فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى»[٣٦] «إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم»[٣٧] «قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسرِ بأهلك بقطع من الليل»[٣٨] «إن الله وملائكته يصلون على النبي»[٣٩].. فنفهم :

أولاً - قواهم هائلة.

ثانياً - تسبيحهم بحمد ربهم وتقديسه.

ثالثاً- حفظ كل ما يصدره الإنسان واحصاء الحسن والسيئ.

رابعاً- الدعاء بأن يخرج النّاس من الظلمات الى النور.

خامساً- استغفارهم للمؤمنين والدعاء لهم بالرحمة.

سادساً- اعانتهم الذين آمنوا على عدوهم.

سابعاً- تنزلهم على الأنبياء والصالحين بالبشائر والوحي.

ثامناً- صلاتهم على نبينا الكريم.

تاسعاً- حملهم عرش الرحمان تبارك شأنه.

عاشراً- توكيلهم بقبض أرواح الآدميين.

حادي عشر- تحيتهم الأنفس الطيبة حين يتوفونها.

ثاني عشر- تبشيرهم المؤمنين بحسن المنقلب بعد الموت.

ثالث عشر- ترحيبهم بأهل الجنة وتهنئتهم بالفوز.

---

(٣٠) الآيات ٩ و ١٢ و ٥٠ سورة الانفال (٣٤) الآية ٧٧ سورة الزخرف.
(٣١) الآية ٢ سورة النحل. (٣٥) الآيتان ٢٣ و ٢٤ سورة الرعد. (٣٨) الآية ٨١ سورة هود.
(٣٢) الآيات ٢٨ - ٣١ سورة المدثر (٣٦) الآية ٣٩ سورة آل عمران.
(٣٣) الآية ١٧ سورة الحاقة (٣٧) الآية ٤٥ سورة آل عمران (٣٩) الآية ٥٦ سورة الاحزاب.

رابع عشر- إهانتهم الكفار وضربهم عند الوفاة.
خامس عشر- تعذيبهم أهل النار.

## لزوم الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة جزء أساس في عقيدة الإسلام.

يقول تعالى :«ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة»(٤٠) «ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً»(٤١).

إن كانت هناك مجرة - مثلاً - تقع وراء الحسبان لايطالها حس بشري فليس ثمة داعٍ ضروري للإيمان بوجودها مادمت لاتحس هذا الوجود ، أما الشأن نحو الملائكة فيختلف عندما يلزمك الله تعالى الايمان بوجودهم وأنت لاتحس هذا الوجود المغيب عنك..!

فلو أنك أحسست بوجودهم مشاهدة لا أعتقد أن مبرراً يبقى لاختبارك بالتكليف الرباني لأنك ستجد برؤيتك للملائكة لوازم الاقبال على الطاعة كلها ومن ثم تعزف عن المعصية تماماً وبذلك تنتفي مقاصد كثيرة من إيجاد الحياة والإنسان على الأرض..!

قد يقول البعض : إن هذا حصل لأبي البشرية آدم عليه السلام كما ورد في نصوص القرآن والسنة فلماذا توقف الأمر عند الإنسان الأول واقتصر من بعد على الأنبياء والصديقين ولم يشمل به جميع الناس..؟

كانت هناك حاجات ضرورية قصوى ، فآدم وهو بداية العالم الإنساني نبي ورسول ثم هو إنسان يحتاج الى تعليم مستفيض لمستلزمات الحياة ومطالب وضع اللبنات الأولى للعالم الإنساني الجديد ، أما بالنسبة للأنبياء والرسل والصديقين فهو وحي ينزله الحكيم الخبير تبياناً لمنهجه المقرر وإعلاماً لحصول شيء كبير الشأن بالنسبة للصديقين كما حصل مع السيدة مريم مثلاً..!

إن الملائكة خلق طاهر كريم رفيع المستوى إذ هم الملأ الأعلى المقدس فأن يرسلهم الله تبارك وتعالى الى الأنبياء والرسل والصديقين لهو مما يدل على أن هؤلاء الكرام الذين أرسل اليهم الملائكة لهم أناس موضع أسمى الكرامة وعلو الشأن عند رب العزة والجلال ، ولا يخفى الأثر العظيم لإرسال ملائكة في ملامح بشر مثلاً في تثبيت المرسل اليهم وافاضة الإيناس عليهم والتخفيف من حدة المشاعر

(٤٠) الآية ١٧٧ سورة البقرة. (٤١) الآية ١٣٦ سورة النساء.

والأحزان التي تواجههم بسبب نهوضهم بالأعباء الضخمة كالتبليغ عن الله وحمل الناس على الإيمان بربهم..!

أما كونك تؤمن بالوجود الحقيقي للملائكة رغم أنك لاتحسه اتباعاً للمنهج الالهي فأمر ضروري لعملية الاختبار لاسيما بعد أن عرفت عن طريق الوحي الكثير من ملامح وجودهم وطبيعة خلقهم والاعمال التي يكلفهم الله تعالى بها في أرجاء الكون ونحوك بوجه خاص ، فينبغي أن يزداد ارتباطك وثوقاً بالمعبود جل وعلا بفعل إيمانك بعالم الملائكة المحيط بوجودك كله والمتابع لكل صغير من اعمالك وكبير إحصاء بأمر ربك الرقيب الحسيب..!

هكذا الإيمان يراد..! ولقد «آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله»[٤٢].. رسول هو نموذج كامل ونحن بهديه مقتدون..!

## الجــن

**من هم؟**

يقول تعالى :«ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون.. والجان خلقناه من قبلُ من نار السموم»[١] «حور مقصورات في الخيام.. فبأي آلاء ربكما تكذبان.. لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان»[٢] «وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون»[٣] «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً.. وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً.. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً»[٤].. فنفهم:

أولاً- الجن خلق من نار.

ثانياً- خلقهم سبق إيجاد الإنسان.

ثالثاً- فيهم الذكور والإناث.

رابعاً- حصول التزاوج والتناسل بينهم.

خامساً- عددهم أكثر من البشر.

---

(٤٢) الآية ٢٨٥ سورة البقرة.
(١) الآيتان ٢٦ و ٢٧ سورة الحجر.
(٢) الآيات ٧٢-٧٤ سورة الرحمان.
(٣) الآية ١٧ سورة النمل.
(٤) الآيات ٦ و ٨ و ٩ سورة الجن.

سادساً- امتلاكهم الحواس القوية جداً كالسمع مثلاً.
سابعاً- قدرتهم على الحركة والتنقل السريع.
ثامناً- انتشارهم لايقتصر على الأرض وإنما يمتد الى خارجها.

ولقد توصل العلماء في مجال البحث المختبري حديثاً الى وجود عالم غير مرئي تسكنه مخلوقات تتكون من مادة تختلف عن مادة عالمنا المرئي وأنها ذات حرارة رهيبة(٥).

## تكليف الجن

هل أنهم مكلفون..؟

يقول تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»(٦) «يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين»(٧) «سنفرغ لكم أيها الثقلان.. فبأي آلاء ربكما تكذبان.. يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان»(٨).

فالجن والإنس كلاهما مطالب بالعبادة قد أتاه الرسل واطلع على الآيات وحذر من الآخرة حيث يقف الجميع للحساب لايستطيع أحد أن يفلت من قبضة المنتقم الجبار.

## فيهم المؤمن والكافر

يقول تعالى: «وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً.. وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً..وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً.. وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً.. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً»(٩).

«وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين.. قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم.. ياقومنا أجيبوا

(٥) ينظر (عالم الجن والملائكة) ص١٣
(٦) الآية ٥٦ سورة الذاريات.
(٧) الآية ١٣٠ سورة الانعام.
(٨) الآيات ٣١-٣٣ سورة الرحمان.
(٩) الآيات ١١-١٥ سورة الجن.

داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم.. ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين»[١٠].

يروي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم.. انطلق صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجع الشياطين الى قومهم فقالوا :مالكم؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب.. قالوا : ماذلك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وقالوا :«ياقومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً» فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم «قل أوحي اليّ أنه استمع نفر من الجن».

وقال الحافظ البيهقي : وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ماسمعت الجن قراءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل.

وهذا يشير الى مارواه أحمد ومسلم وابو داود والترمذي عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد؟ قال ما صحبه منا أحد ولكن قد افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة فقلنا : اغتيل أَو استطير ، ما فعل به؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم حتى إذا أصبحنا أو كان في وجه الصبح فإذا نحن به يجيء من حراء ، قال : فذكروا له الذي كانوا فيه ، فقال :(أتاني داعي الجنة فأتيتهم فقرأت عليهم) فانطلق فأرانا أثرهم وأثر نيرانهم ، وسألوه الزاد ، فقال :(لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحماً وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم)[١١].

(١٠) الآيات ٢٩-٣٢ سورة الاحقاف.
(١١) ينظر (العقائد الاسلامية) لسيد سابق ص١٣٦ و ١٣٧.

## إبليس والشياطين

### إنهم الكفرة من عالم الجن.. فما وصفهم..؟

يقول تعالى :«وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً»[١٢] «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً.. قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ»[١٣] «قال ياإبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، أستكبرت أم كنت من العالين.. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.. قال فاخرج منها فإنك رجيم.. وإن عليك لعنتي الى يوم الدين.. قال رب فانظرني الى يوم يبعثون.. قال:فإنك من المنظرين.. الى يوم الوقت المعلوم.. قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين.. إلا عبادك منهم المخلصين»[١٤] «ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين.. وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ»[١٥] «ياأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر»[١٦] «ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون.. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون»[١٧] «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً»[١٨] «إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون»[١٩] «الشيطان يعدكم الفقر»[٢٠] «يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً»[٢١] «إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم»[٢٢] «استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب

---

(١٢) الآية ٥٠ سورة الكهف.
(١٣) الآيتان ٦١ و ٦٢ سورة الإسراء.
(١٤) الآيات ٧٥-٨٣ سورة ص.
(١٥) الآيتان ٢٠ و ٢١ سورة سبأ.
(١٦) الآية ٢١ سورة النور.
(١٧) الآيتان ٩٠ و ٩١ سورة المائدة.
(١٨) الآية ٧٦ من سورة النساء .
(١٩) الآية ١٦٩ سورة البقرة.
(٢٠) الآية ٢٦٨ سورة البقرة.
(٢١) الآية ١٢٠ سورة النساء .
(٢٢) الآية ٢٥ سورة محمد.

الشيطان هم الخاسرون»[٢٣] «ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين.. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم»[٢٤].. فنفهم بشأن إبليس والشياطين:

أولاً- الإنسان كرم على إبليس.

ثانياً- إبليس طريد الرب.

ثالثاً- إنهم عصاة الأمر الإلهي.

رابعاً- هم اعداء بني آدم.

خامساً- مستكبرون على الجنس البشري.

سادساً- لاسلطة لهم تجبر الإنسان على فعل شيء.

سابعاً- ضعفاء أمام قوة الإنسان.

ثامناً- غوايتهم تحل بغير المؤمنين.

تاسعاً- سيطرتهم على الغاوين فقط فينسونهم ذكر الله.

عاشراً- يأمرون بالسوء والفحشاء والمنكر.

حادي عشر- يشجعون القول على الله بغير علم.

ثاني عشر- الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس شيطاني.

ثالث عشر- يوقعون العداوة والبغضاء بين الناس في الخمر والميسر ويصدونهم عن ذكر الله وأداء الصلاة.

رابع عشر- يزينون الضلال وسوء العمل.

خامس عشر- يخوفون المرء بشبح الفقر.

سادس عشر- يشغلون المهزوز بالأماني الباطلة كطول العمر وعدم البعث ونفي الجزاء.

سابع عشر- طاعتهم تعني اتخاذهم معبودين.

ثامن عشر- إنهم ومن تبعهم خاسرون في الدارين[٢٥].

---

(٢٣) الآية ١٩ سورة المجادلة.

(٢٤) الآيتان ٦٠ و ٦١ سورة يس.

(٢٥) للتوسع ينظر كتابي (حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني).

## الحيــــاة

### حياة الأرض

نقرأ في القرآن :«وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.. وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون»[1] «ألم ترَ أن الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود.. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء»[2].

والأرض ممهدة بشكل صالح للحياة.. جبال تحفظ توازن جرمها السابح في الفضاء وهي بألوان يدل أي منها على أن عطاءه المعدني ونتاجه الزراعي ليس من نوع واحد ، والنبات يزخر بثمرات شتى يانعة بما يناسب احتياج الإنسان ولذته ، والقطع القاحلة جنب البساتين العامرة تلك جرداء وهذه فيها العنب والثمر والليمون والبصل وغيرها على اختلاف طعومها تسقى بماء واحد ينساب في الأنهار بأحسن توزيع على اليابسة أو يسقط مطراً ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك.. أحياء عديدة مختلفة التكوين والطعم والوظائف والدور تعيش على كوكب واحد وتسقى بسائل واحد هو ماء الحياة وتتلقى الحرارة والضوء من جرم واحد هو الشمس..!

إنه لاعجاز عجيب بأضخم ما يكون لا ينصفه إلا علماء يرون تلك الآيات واضحة من خلال برهان ساطع مترابط الأجزاء متكامل..! من فعل هذا كله..؟

يقول تعالى :«قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض»[3].. «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً»[4].. عمل لايقدر عليه أحد إلا إله الكون..! ويالها من دقة عمل ذات اعجاز هائل..! يصفها تعالى بقوله :«إنا كل شيء خلقناه بقدر»[5].. اسأل الكيمياوي أو الطبيب عن مسألة الخلق بنسب دقيقة المشاهد في حياة الأرض ليطلعك على العجائب «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون»[6].

(١) الآيتان ٣ و ٤ سورة الرعد.
(٢) الآيتان ٢٧ و ٢٨ سورة فاطر.
(٣) الآية ٩ سورة فصلت.
(٤) الآية ٢٩ سورة البقرة.
(٥) الآية ٤٩ سورة القمر.
(٦) الآية ٤٣ سورة النحل.

(لقد حسب العلماء احتمال اجتماع الذرات التي يتكون منها جزيء واحد من الأحماض الأمينية - وهي المادة الأولية التي تدخل في بناء البروتينات واللحوم- فوجدوا أن ذلك يحتاج الى بلايين عديدة من السنين والى مادة لايتسع لها هذا الكون المترامي الأطراف ، هذا لتركيب جزيء واحد على ضآلته فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعاً من نبات وحيوان..؟ وما بالك بما لايحصى من المركبات المعقدة الأخرى..؟ وما بالك بنشأة الحياة وملكوت السماوات والأرض ..؟ إنه يستحيل عقلاً أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء أو الخبطة العشواء..! لابد لكل ذلك من خالق مبدع عليم خبير أحاط بكل شيء علماً وقدر كل شيء ثم هدى)[٧].

هكذا هو الترابط الوثيق بين تفاصيل حياة الأرض وكلام الله القرآني..! ألا تدل حياة الأرض على الغيب الإلهي يقيناً بأوضح الإشارات..؟!

**حياة الخلائق**

ومخلوقات عديدة فوق الأرض لاسيما الحيوان والزرع.. إن ما يلوح في هذه الخلائق من اقتدار وإبداع ودقة لايمكن اغفاله إلا حين تتبلد الحواس ، خلق معجز وجمال أخاذ ونظام مذهل مظاهر بارزة إن لم تستلفت نظر الإنسان فما الذي يستلفته..؟!

من أوجد ذلك من العدم..؟ ومن أودع فيه خصائص عظمى بكل وعي وقصد واجادة..؟ بقرة تأكل عشباً فيتحول الى قوت لخلاياها والى لبن لرضيعها والى غذاء للإنسان وما تبقى هو فضلات تفرز عن طريق آخر..! البقرة مثل واحد فقط ، ودعونا نسترسل متسائلين : لو أن ماكنة يصنعها كل بني الإنسان الأوائل منهم والأواخر وكانوا بعقل واحد أيقدرون على خلق بقرة تعطي ذلك العطاء الفريد وبدون كلفة من أموال طائلة وجهود مضنية وتدابير هائلة..؟!

ولو قدروا - وهو فرض مستحيل - كيف يوفرون الغذاء المناسب لها..؟! ولو قدروا - وهو مستحيل آخر - كيف يتسنى لهم تحقيق التفاعل بين المواد بعناصرها المختلفة وجعلها تعطي اللبن وتوفر غذاء الخلايا وتفرز الفضلات خارجاً..؟! ولو قدروا - وهو مستحيل رابع - كيف يكون لبنها جد مناسب ليستهلك من غير جنسها هو الإنسان..؟!

(٧) (الله يتجلى في عصر العلم) ص٤.

وما قلناه بشأن البقرة تمثيلاً عن عالم الحيوان نقول نظيره عن النخل تمثيلاً عن عالم النبات ، ثم نتساءل : من فعل هذا كله..؟

لا أحد يجيب بقناعة فيها الصواب والحكم المؤكد إلا الله تعالى وهو يناديتا من وراء الغيب مرشداً بكلام محفوف بالرحمة والجلال والحق إذ يقول في القرآن الكريم :«وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه»[8] «وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم»[9].

إله يهيمن على كون هو خالقه ينسب ذلك الفعل المقصود لنفسه..؟ إنه لحق اليقين..! هكذا أجزم بحواسي وبكل عقلي تحت ضوء القرائن الساطعة كالشمس في رائعة النهار..!

تفاصيل نلمسها في حياة الخلائق تشير بقوة الى صدق الغيب الإلهي الوارد في القرآن وتجعلنا نتلقفه مستيقنين لأمر أشبه بالأرض اليابسة ينزل عليها القطر فتدب فيها الحياة وتزهو..!

## حياة الإنسان

إنها طراز عجيب هي أيضاً..!

جسم الإنسان فيه اقتدار خلق وابداع تكوين وعظمة تدبير ، كل خلية من خلاياه وعددها مليار مليون في المعدل التقريبي تهز العقول اعجاباً بنظام توزيع الغذاء على كل واحدة منها وسبل ايصاله اليها وأداء كل مجموعة لوظائف معينة بكل انسجام وانضباط وروعة..!

ومن حول الإنسان نجد كل ما في الأرض قد هيئ ليكون صالحاً لحياة هذا المخلوق لسنين لانعلم مقدارها ، بل حتى العديد من أجرام السماء البعيدة قد هيئ لاستواء حياة الخلائق وفي مقدمتها الإنسان ، فشمس تشرق علينا نصف يوم فيكون نهار وتحتجب النصف الآخر فيكون ليل ، وقمر يبزغ وسط الظلام فيتحصل به نور وزينة وعلم بالمواقيت والشهور ووظائف المد والجزر البحرية الداخلة في حفظ توازن الأرض..!

المرء الحسن الثقافة بالعلم والخبرات لايجد في حياة الإنسان أي مخلوق بلا أهمية وقصد حتى القشة على قارعة الطريق..! بل يجد دلائل الحكمة والتقدير

---

(٨) الآية ١٣ سورة النحل. (٩) الآية ١٠ سورة لقمان.

بادية تتكاثر أمام الحس كلما ازداد نصيبه من العلم والخبرات وجودة الالتقاط والاستنتاج..!

فيتساءل : من فعل هذا كله..؟

ويسمع اجوبة من الناس فيها هراء كثير إذ يكون كل منها وفق مزاج المجيب وهواه المتخبط فيضرب بها عرض الحائط بحثاً بجد عما يقنع العقل ويريح القلب فيأتيه ذلك النداء الرحيم محاطاً بالجلال حاملاً الحق المفتقد مدوياً من وراء ستار الغيب وهو يقول :«الله خالق كل شيء»[١٠] «الذي أحسن كل شيء خلقه»[١١] «أفمن يخلق كمن لايخلق»[١٢].

ولو لم يجد الإنسان العالم الخبير نداء من وراء الغيب مجلجلاً بهذه الحقائق لما كان مؤدى سعيه الا اليها غير أن الخالق الرحيم شاء أن يمنحه مزيد هدى مراعاة لقليلي العلم والخبرة فكان الخير كله قد اجتمع وتمت الحجة على الإنسان..!

لو ألقى علينا رجل أمي كتاباً حمله الينا من عالم ذائع الصيت يقيم في نصف الكرة الغربي فوجدنا محتوى الكتاب حسناً عالي القيمة يحاور عقولنا ويخاطب اعماقنا وينال منا كل الاحترام.. أيصح أن ندعي أن ذلك العالم مؤلف الكتاب غير موجود لكون عيوننا لاتراه..!؟

«ولله المثل الأعلى»[١٣].. فمن أراد اليقين فعلاً كفاه الغيب الالهي..!

## الغاية من حياتنا

يقول تعالى:«إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً»[١٤]..مادام هو خالق الأرض والإنسان والحياة فهو المتحكم إذن بالغاية المريد لها «لنبلوهم أيهم أحسن عملاً»..وهل أن حياتنا مهيأة لهذا الامتحان..؟

نعم.. قال تعالى :«اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»[١٥].

فالأرض والحياة كما نفهم من النص القرآني قد اعدا لغاية هي اختبار الإنسان المصمم كما نرى متناسباً مع المطلب الرباني.. ونتيجة هذا الاختبار لاتلحق

(١٠) الآية ١٦ سورة الرعد (١٢) الآية ١٧ سورة النحل (١٤) الآية ٧ سورة الكهف.
(١١) الآية ٧ سورة السجدة (١٣) الآية ٦٠ سورة النحل (١٥) الآية ٢٠ سورة الحديد

ضراً بالخالق ولا تنيله نفعاً فهو الغني الحميد ، وإنما هي لصالح المخلوق إن أحسن نال بها الشرف والفضل ونعم الجزاء عند الله تعالى وإن أساء ذاق مرارة مافرط ولا يظلم ربك أحداً.

وتيسيراً لتحقيق تلك الغاية العظمى فطر الله تعالى البشر على معرفته «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون»[16] وبعث الرسل والأنبياء بعقيدة التوحيد الالهي يبشرون الناس وينذرونهم «ولكل قوم هاد»[17] «إنا كنا مرسلين.. رحمة من ربك»[18] «وكم أرسلنا من نبي في الأولين»[19] «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم»[20] «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[21].

## الموت

### دار زائلة

الحياة الدنيا دار زوال هكذا خلقت وهذه طبيعتها وهي سائرة نحو لحظة الاضمحلال.. نعم لحظة ينتهي فيها كل شيء وليس هو باضمحلال تدريجي لأن هذا قد يعرقل حياة الناس ويؤثر على عملية اختبارهم «وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب»[1].

بل إننا نفهم من التمثيل القرآني لانتهاء الحياة الدنيا أن هذا الأمر يحل بها وهي بالغة أوج الزخرف والزينة والاقتدار وليس أوج الضعف.. أنظر ما يقوله خالقها:

«إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا اخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون»[2].

قانون الوفاة الأرضي هو إياه كما ينفذ في الناس من حيث المفاجأة وجهل موعده وهول الوقع يسري كذلك على الدنيا محتضن البشرية ودار بلائها.. الإنسان يجهل موعد الموت حتى لايبرح تحت ثقل الذعر ، ويأتيه الموت مفاجأة برهاناً على

(١٦) الآية ٨٧ سورة الزخرف
(١٧) الآية ٧ سورة الرعد
(١٨) الآيتان ٥ و ٦ سورة الدخان
(١٩) الآية ٦ سورة الزخرف
(٢٠) الآية ٤ سورة ابراهيم
(٢١) الآية ١٦٥ سورة النساء
(١) الآية ٧٧ سورة النحل
(٢) الآية ٢٤ سورة يونس

أن عيش الدنيا خادع المتغافلين «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»[٣] ، أما هول الوقع فهو شبح مخيف يذكر العاقل دائماً بأنه مقبل على ختام عملية الاختبار ومنتقل من دار فانية ألفتها حواسه طويلاً الى دار مقيمة لاتزول حيث السعادة أو الشقاء.

«وعد الله ، لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون.. يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون»[٤].. وعد من الله لايخلف «إن وعد الله حق»[٥].. ومادام الأمر مستيقن هكذا فلمَ يتناسى أكثر الناس أهميته..؟ لأنهم يفتقرون الى العلم المحيط بحقيقة الدنيا المذكر بفضل الآخرة لا العلم السطحي الناقص الذي لايتجاوز بمنظاره ظاهر حياتهم ذات البريق الكاذب..!

## لكل مخلوق أجل

إنه قانون ماثل يملأ الحس لم يتخلف منذ أول إنسان وطئ الأرض والى قيام الساعة..! قانون لم يستثنِ آدمياً «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون»[٦]..!؟ ولم يستثنِ أي نفس من الأحياء في دنيانا «كل نفس ذائقة الموت»[٧] وأمنا الأرض بكل ما تحتويه لها موعد أيضاً هو القيامة حيث تنتزع منها روح الحياة فيتوقف تفاعل الأشياء وتغدو حطاماً..! «وإذا الكواكب انتثرت»[٨] «وإذا الأرض مدت.. وألقت مافيها وتخلت»[٩].

كثيرون قبلنا قد مضوا في هذا الطريق «فهل ترى لهم من باقية»[١٠]..!؟ إن بقي منهم شيء فهو آثارهم الدالة على سنة الخالق سبحانه في دنيانا «ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض»[١١]..!؟

## بداية الخلود

الحياة الدنيا دار موقتة لها موعد تنتهي عنده حيث يبدأ عالم البقاء «ذلك يوم الخلود»[١٢].. يوم يمتد الى الأبد دائم لاينتهي فليس هو أياماً ولا أسابيع ولا شهوراً ولا سنوات إنه الخلود بلا نهاية.

وأهل الدنيا في ذلك اليوم ليسوا في حال واحدة وإنما هم فريقان أولهما

(٣) الآية ٢٠ سورة الحديد. (٧) الآية ٣٥ سورة الانبياء . (١١) الآية ٦ سورة الانعام.
(٤) الآيتان ٦ و ٧ سورة الروم (٨) الآية ٢ سورة الانفطار. (١٢) الآية ٣٤ سورة ق.
(٥) الآية ٣٣ سورة لقمان. (٩) الآيتان ٣ و ٤ سورة الانشقاق .
(٦) الآية ٣٤ سورة الانبياء . (١٠) الآية ٨ سورة الحاقة.

الفائزون في عملية الاختبار «أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون»[١٣] وثانيهما اللاهون أثناء عملية الاختبار «أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»[١٤].

## اليوم الآخر

### أحد شروط الإيمان

الايمان باليوم الآخر ركن أساس في عقيدة التوحيد الالهي.. يقول تعالى :«إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون»[١] «ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر»[٢].

وعندما سئل : ما الإيمان..؟ أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[٣].

### أهميته

ونستطيع أن نتصور بسهولة عدم جدوى الايمان اطلاقاً دون الاعتقاد باليوم الآخر ، إنه أكثر شبهاً برأس الإنسان ، أتراه يساوي شيئاً بدونه..!؟

الإنسان يعمل في دنياه وفق منهج الخالق أو بخلافه ، فما الذي يتبع هذه الدار الزائلة بالانتقال الى الآخرة..؟ أن ينال المرء ما وعد الخالق عباده وهو النعيم للمحسن والعذاب للمسيء..!

أفق إلهي رصين تملؤه المعاني العليا كالعدل والحكمة..! حياة دنيا تنتهي يعقبها عالم خالد لاتساوي دار الزوال الى جانبه أدنى ذرة في الخلود حيث يجازى فيه المرء على حصيلة ما كسب..! «بل تؤثرون الحياة الدنيا.. والآخرة خير وأبقى.. إن هذا لفي الصحف الأولى.. صحف إبراهيم وموسى»[٤]..

هكذا تكتمل ملامح الصورة في القرآن الكريم فيالروعة الكمال يتلألأ بين جواهره (اليوم الآخر) بوهج كالبدر لايعرف قدره أحد مثل من عانى وحشة الظلمات وبؤسها..!

### البعث

يموت المرء في دنياه ويتحلل جسده بعد الدفن ، فكيف يبعث بعودة الروح

(١٣) الآية ٨٢ سورة البقرة. (٢) الآية ١٧٧ سورة البقرة.
(١٤) الآية ٣٩ سورة البقرة. (٣) بعض حديث رواه مسلم.
(١) الآية ٦٢ سورة البقرة. (٤) الآيات ١٦-١٩ سورة الاعلى.

الى الجسد..؟ يقول تعالى :«وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون.. أو آباؤنا الأولون.. قل إن الأولين والآخرين.. لمجموعون الى ميقات يوم معلوم»[٥].

كيف..؟ يقول تعالى :«ويقول الإنسان أإذا مامت لسوف أخرج حياً..؟ أوَلا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبلُ ولم يك شيئا»[٦] «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم..؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم»[٧] «نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين.. على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون.. ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون»[٨].

هل ثمة تفاصيل أخرى..؟ نعم .. وإن المرء عند اطلاعه عليها بعلم وخبرة وامعان ليكاد يرى حقيقة البعث وامكانه كما يرى أصابع يده.. أنظر :«ياأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير.. وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور»[٩] «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لايعلمون.. ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.. إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»[١٠] «بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير»[١١].

## الحشر

رب خلق الناس واستخلفهم في الأرض ثم أماتهم وبعد ذلك بعثهم أليس بقادر على أن يحشر الجميع في موقف واحد لايفلت منه أحد..!؟

يقول تعالى :«وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً»[١٢] «ذلك حشر علينا

---

(٥) الآيات ٤٧-٥٠ سورة الواقعة
(٦) الآيتان ٦٦ و ٦٧ سورة مريم.
(٧) الآيتان ٧٨ و ٧٩ سورة يس.
(٨) الآيات ٦٠-٦٢ سورة الواقعة.
(٩) الآيات ٥-٧ سورة الحج.
(١٠) الآيات ٣٨-٤٠ سورة النحل.
(١١) الآية ٧ سورة التغابن.
(١٢) الآية ٤٧ سورة الكهف.

يسير»[١٣] «ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم»[١٤].

وفي الحديث النبوي (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف : صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم) ..قيل : يارسول الله كيف يمشون على وجوههم..؟ قال:( إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ألا إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك)[١٥].

## الحكم بين العباد

إنه تحقيق للوعد الالهي :«يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا اعمالهم»[١٦] «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا»[١٧] «يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق»[١٨].

وياله من عدل عندما يكون الله تعالى هو الحاكم :«وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً.. إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً»[١٩].

وفي الحديث النبوي (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة)[٢٠].

سئل الامام علي رضي الله عنه : كيف يحاسب الله الناس كلهم في وقت واحد..!؟ فقال :كما يرزقهم في آن واحد يسألهم في آن واحد..![٢١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه[٢٢] فيقول : أعملت كذا وكذا..؟ فيقول : نعم ، ويقول : أعملت كذا وكذا..؟ فيقول : نعم.. فيقرره ، ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار

(١٣) الآية ٤٤ سورة ق.
(١٤) الآية ٤٥ سورة يونس.
(١٥) رواه الترمذي.
(١٦) الآية ٦ سورة الزلزلة .
(١٧) الآية ٦ سورة المجادلة.
(١٨) الآية ٢٥ سورة النور.
(١٩) الآيتان ١٣ و ١٤ سورة الإسراء.
(٢٠) رواه البخاري ومسلم والترمذي.
(٢١) ينظر (أدب الدنيا والدين) ص٢٦.
(٢٢) أي ستره.

فينادى على رؤوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)[٢٣].

يقول تعالى :«فأما من أوتي كتابه بيمينه.. فسوف يحاسب حساباً يسيراً.. وينقلب الى أهله مسروراً.. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره.. فسوف يدعو ثبوراً.. ويصلى سعيراً.. إنه كان في أهله مسروراً.. إنه ظن أن لن يحور.. بلى إن ربه كان به بصيراً»[٢٤].

## احصاء كل شيء

يقول تعالى :«ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً»[٢٥].

كيف..؟ «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون»[٢٦] «وقالوا لجلودهم لـمَ شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون.. وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون.. وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين»[٢٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «يومئذ تحدث أخبارها»[٢٨] فقال :(أتدرون ما أخبارها..؟) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال :(فإن أخبارها أن تشهد[٢٩] على كل عبد أو أمه بما عمل على ظهرها أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا) قال :(فهذه أخبارها)[٣٠].

## كل امرئ بما كسب رهين

مستلم الأمانة هو الذي يتحمل تبعاتها.

وكم من أمانة استودعنا الخالق إياها..؟!

إن ما يكسبه الانسان في الدنيا يتحمل وحده نتائج الحساب عنه أمام الله الرقيب الحسيب ، وإنه لهو العدل والانصاف.. يقول تعالى :«كل نفس بما كسبت

---

(٢٣) رواه البخاري ومسلم.
(٢٤) الآيات ٧-١٥ سورة الانشقاق.
(٢٥) الآية ٤٩ سورة الكهف.
(٢٦) الآية ٢٤ سورة النور.
(٢٧) الآيات ٢١-٢٣ سورة فصلت.
(٢٨) الآية ٤ سورة الزلزلة.
(٢٩) أي الأرض.
(٣٠) رواه احمد والبغوي والترمذي.

رهينة»[٣١] «كل امرئ بما كسب رهين»[٣٢].. ارتهان..! حتى..؟ يوم الحسرة الكبرى «إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين»[٣٣].

## لا والد ينفع ولا ولد

ما أغلى الولد على والده..! وما أشفق الوالد على ولده..! هذا في الدنيا فقط ، يتهاديان الأموال والعقارات وشتى العوارض الغالية الثمن ، أما في الآخرة حيث الدار خالدة والمتلكات - وهي الحسنات - تتعلق بالمصير الأبدي فليس هناك استعداد لدى انسان للتضحية بأدنى حسنة لأجل الغير أو تحمل أدنى سيئة عن الغير تكرماً عليه ولو كان هذا الغير ولداً..!

يقول تعالى :«ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدعُ مثقلة الى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى»[٣٤] «ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور»[٣٥].

فما الذي ينفع ..؟

«يوم لا ينفع مال ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلب سليم»[٣٦].

## بيض الوجوه وسودها

يقول تعالى :«يوم تبيض وجوه وتسود وجوه»[٣٧].. ما أحسن بياض الوجوه اعلاناً عن فوز اصحابها بنتيجة الاختبار الدنيوي..! وما أدل التعبير بسوادها عن سوء العاقبة..!

وجوه يتلقى أصحابها البشارة فيشعرون بالامتلاء كرامة وعزاً لأنهم نالوا رضى الملك الحق الحكم العدل تبارك شأنه فإذا بلون النور يفيض من أبرز وأكرم موضع في كيان الآدمي ألا وهو الرأس وتحديداً الوجه..!

ووجوه يتلقى أصحابها نتيجة سعيهم خسراناً فيحسون بفداحة السقوط ورعب المصير وهول العذاب لأنهم باؤوا بسخط القوي العزيز إله العالمين جل شأنه فإذا بلون الظلمة يغطي وجوه هؤلاء الذين لم يكونوا يعبؤون بهذا المنقلب المتوقع المحذور..!

---

(٣١) الآية ٣٨ سورة المدثر. (٣٤) الآية ١٨ سورة فاطر. (٣٧) الآية ١٠٦ سورة آل عمران.
(٣٢) الآية ٢١ سورة الطور. (٣٥) الآية ٣٣ سورة لقمان.
(٣٣) الآية ١٨ سورة غافر. (٣٦) الآيتان ٨٨ و ٨٩ سورة الشعراء.

«فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون.. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون.. تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين»[٣٨].

## الجنـــة

### دار الجزاء الأبدي

يقول تعالى :«خالدين فيها ابداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه»[١] «خالدين فيها نعم أجر العاملين»[٢] «خالدين فيها وعد الله حقاً»[٣].

الجنة دار يكافئ الخالق عز وجل فيها عباده الذين اتبعوا الطريقة المثلى مستمسكين بمنهجه القويم في الدنيا وقد استرخصوا الغالي والنفيس قياماً بذلك الأمر وتحاشياً لكل ما يخالفه.

إن الخلد صفة يظهر فيها الجزاء بأضخم معاني الكمال وأتمها ، فما قيمة نعيم عاقبته الزوال..!؟ متاع الدنيا قليل لكونه عارضاً ينتظره الفناء..! وياله من استغراق في الفعل عندما يستمر أبداً..!

جزاء لايقدر عليه إلا الخالق عز وجل ، وهو يليق بصفات كماله لاسيما في العطاء والإنعام ، وهو يليق بعباد الله تعالى الأخيار لالشيء إلا لقوله تعالى :«رضي الله عنهم» «نعم أجر العاملين» «وعد الله حقاً»..!

### أوصاف المرشحين لها

يقول تعالى :«فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين»[٤] «وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات»[٥] «إن المتقين في جنات ونعيم»[٦] «إلا عباد الله المخلصين.. أولئك لهم رزق معلوم.. فواكه وهم مكرمون.. في جنات النعيم»[٧] «الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين.. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون»[٨] «قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات»[٩] «أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى؟ إنما يتذكر

(٣٨) الآيات ١٠٦-١٠٨ سورة آل عمران. (٧) الآيات ٤٠-٤٣ سورة الصافات
(١) الآية ٨ سورة البينة. (٤) الآية ٨٥ سورة المائدة (٨) الآيتان ٦٩ و ٧٠ سورة الزخرف
(٢) الآية ٥٨ سورة العنكبوت (٥) الآية ٢٣ سورة ابراهيم (٩) الآية ١١٩ سورة المائدة.
(٣) الآية ٩ سورة لقمان. (٦) الآية ١٧ سورة الطور

أولو الألباب.. الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق.. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب.. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار.. جنات عدن يدخلونها»[١٠] «هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ.. من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب.. ادخلوها بسلام»[١١] «لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون.. اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم»[١٢].

الله تعالى حدد أوصاف المرشحين للجنة بأنهم :

أولاً- آمنوا بآيات الله وأسلموا له.

ثانياً- يعلمون بعقول جيدة أن ما أنزل الى محمد - صلى الله عليه وسلم - من ربه هو الحق ونزولاً عند مقتضى علمهم يؤمنون بهذا الحق.

ثالثاً- قرنوا الايمان بالعمل المتسم بالصلاح.

رابعاً- محسنون.. يعبدون الله كأنهم يرونه وهم يستشعرون رقابته دائماً[١٣].

خامساً- مخلصون.. أفردوا ربهم بالطاعة.

سادساً- متقون.. يطيعون الله خوفاً من غضبه.

سابعاً- يخشون ربهم بالغيب إذ لم يشاهدوه عياناً.

ثامناً- يخافون سوء الحساب قبل حلوله.

تاسعاً- أبرار.. فاعلون لكل خير.

عاشراً- ملتزمون بالمنهج الالهي بلا انحراف ولا التواء.

حادي عشر- صابرون على ما يواجهونه نيلاً لرضى الله.

ثاني عشر- يقيمون الصلاة وينفقون في سبيل الله بلا ادعاء ويدرؤون السيئة بالحسنة ، صفات هي من الشواهد البارزة على الالتزام

---

(١٠) الآيات ١٩-٢٣ سورة الرعد.

(١١) الآيات ٣٢-٣٤ سورة ق.

(١٢) الآيتان ٨٨ و ٨٩ سورة التوبة .

(١٣) عندما سئل النبي : ما الاحسان..؟ قال صلى الله عليه وسلم : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) بعض حديث رواه مسلم.

والصبر عليه.

ثالث عشر- رجاعون الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار.

رابع عشر- مجاهدون بالمال والنفس.

خامس عشر- موفون بعهود الايمان ومواثيقه.

## الفوز العظيم

يقول تعالى :«فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز»[١٤] «ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم»[١٥]« لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى»[١٦].

امرؤ يؤمن بالله في الدنيا ويعمل صالحاً إنه للفور وربي..! ثم ينقلب الى الآخرة فتغفر له الذنوب ويزحزح عن النار إنه للفوز أيضاً..! ويدخل من بعد الجنة لا يذوق فيها الموت أبداً وله نعيم خالد إنه للفوز المبين..!

## حقائق تفاصيلها وراء الحسبان

يقول تعالى :«مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات»[١٧] «وفاكهة كثيرة.. لا مقطوعة ولا ممنوعة»[١٨] «أكلها دائم وظلها»[١٩]«وحور عين.. كأمثال اللؤلؤ المكنون»[٢٠] «وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون»[٢١] «لا يصدعون عنها ولا ينزفون»[٢٢] «لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً»[٢٣] «لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً»[٢٤] «لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب»[٢٥] «ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا»[٢٦] «إن هذا لرزقنا ماله من نفاد»[٢٧] «ورضوان من الله أكبر»[٢٨] «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً»[٢٩].

---

(١٤) الآية ١٨٥ سورة آل عمران.
(١٥) الآية ٩ سورة التغابن.
(١٦) الآية ٥٦ سورة الدخان.
(١٧) الآية ١٥ سورة محمد.
(١٨) الآيتان ٣٢ و ٣٣ سورة الواقعة.
(١٩) الآية ٣٥ سورة الرعد.
(٢٠) الآيتان ٢٢ و ٢٣ سورة الواقعة.
(٢١) الآية ٧١ سورة الزخرف.
(٢٢) الآية ١٩ سورة الواقعة.
(٢٣) الآية ٢٥ سورة الواقعة.
(٢٤) الآية ١٣ سورة الانسان.
(٢٥) الآية ٣٥ سورة فاطر.
(٢٦) الآية ٤٧ سورة الحجر.
(٢٧) الآية ٥٤ سورة ص.
(٢٨) الآية ٧٢ سورة التوبة.
(٢٩) الآية ٢٤ سورة الفرقان.

وفي الحديث القدسي يقول ربنا :(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. اقرأوا إن شئتم «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»[٣٠]..)[٣١].

والرسول البشير عليه أفضل الصلاة والسلام يقول :(إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى :«تريدون شيئاً أزيدكم.. فيقولون : ألم تبيض وجوهنا..؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار..؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى ربهم..ثم تلا «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»[٣٢]..)[٣٣].

**كرم إلهي**

وفي مجازاة العباد على ما قدموا في دنياهم بجنة أخبرنا الله تعالى ببعض ملامحها اليقينية من وراء الغيب يظهر لنا كرم إلهي عظيم ، فما يقدمه المرء في دنياه - وهو بفضل من الخالق عز وجل وتمكينه - ماذا يساوي إزاء ذلك العطاء الأخروي الهائل فوق التصور:..؟!

إنه يكاد يشبه وزن ذرة قياساً الى السماوات والأرض..! الإله الأحد يجازي عباده على قدر مقامه هو.. فما يعطيه فقير ثمناً للخباز على رغيف يكاد لا يساوي شيئاً يذكر قياساً الى ما يناله الخباز من رجل واسع الثراء كريم..! «ولله المثل الاعلى»[٣٤].

عطاء هائل يوازي قدر الإله تبارك وتعالى ولكنه بالقسط..! فليس من الصواب أن يزعم وغد مثلاً أنه سينال درجة المؤمن الماجد ، أو أن يتوهم جاهل أنه سيوهب مرتبة العالم التقي ، أو أن يتصور مجرم أنه سيعطى مقام صديق شهيد..!

يقول تعالى :«أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم؟ ساء ما يحكمون»[٣٥] «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار»[٣٦] «أم للإنسان ما تمنى»[٣٧].

**وعد حق**

يقول تعالى :«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة

---

(٣٠) الآية ١٧ سورة السجدة (٣٣) رواه مسلم. (٣٦) الآية ٢٨ سورة ص.
(٣١) رواه البخاري. (٣٤) الآية ٦٠ سورة النحل. (٣٧) الآية ٢٤ سورة النجم.
(٣٢) الآية ٢٦ سورة يونس. (٣٥) الآية ٢١ سورة الجاثية.

يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»[٣٨].

أولاً- أنفس العباد وأموالهم هي ملك لربهم أصلاً.

ثانياً- الله يشتري منهم طريقة التصرف بهما فقط.

ثالثاً- الجنة هي الثمن.

رابعاً- الوعد حق.

خامساً- تعهد تضمنه أقدس كتب الله وأشهرها.

سادساً- لا أحد أوفى بعهده من الله.

سابعاً- اعطاء البشارة للبائع في عقد كهذا.

ثامناً- إنه الفوز العظيم.

ولقد اعطى الله تعالى ضمانات كبرى :

أولاً- الثمن مهما بلغ قدره ممكن السداد «إن الله يفعل ما يريد»[٣٩].

ثانياً- أجل السداد ثابت «لا يخلف الله الميعاد»[٤٠].

ثالثاً- الله يحفظ الوعد من جهته تماماً «وعد الله حقاً»[٤١] «إنه كان وعده مأتياً»[٤٢].

وإذا أراد انسان التحقق من واقعية الضمانات يجد:

أولاً- إن قدرة الخالق عز وجل بلا حدود.. فكل ما نراه على الأرض وفي تفاصيل حياتنا لايمكن إيجاده بدون إله هو الله تعالى قدرته لا يعيقها مستحيل ، يقول للشيء كن فإذا هو كائن مثلما أراد بالضبط.

ثانياً- نظام الموعد الدقيق المنجز ماثل في حياتنا..فالشمس- مثلاً - والقمر والليل والنهار والرياح والمطر والزروع بثمارها ونمو الأجسام والموت والحياة وكثير لا يحصى من خلق الله هي براهين ساطعة في هذا المجال.

ثالثاً- الله تعالى خلق الكون وتحديداً السماوات والأرض بالحق وهو قائم

(٣٨) الآية ١١١ سورة التوبة (٤٠) الآية ٢٠ سورة الزمر. (٤٢) الآية ٦١ سورة مريم.
(٣٩) الآية ١٤ سورة الحج. (٤١) الآية ٩ سورة لقمان.

على حفظ نفاذ هذا الحق فلم ولن يسمح لذرة من باطل أن تنفذ الى القوانين الكونية ، ولو حصل هذا لتفاقم التدهور والخراب وانهار كل الابداع المعجز العظيم.. ونتساءل تمثيلاً : هل أخطأت الشمس ساعة فقط في مقدار الضوء والحرارة المناسب للأرض..؟!

## النـــار

### دار العذاب

إله خلق الإنسان وأخذ منه عهداً وهو في ظهر أبيه الأول بأنه وجد لحمل أمانة كبرى ، ولم يقتصر التكليف على هذا التبليغ المستقر في الفطرة وإنما بعث الله تعالى الأنبياء والمرسلين وأنزل الكتب تذكيراً للإنسان وهدى وجعل الخلق من حوله يملأ الحواس والعقل والقلب بالجلال الالهي.. فإذا لم يبالِ المرء وسار في طريق آخر يخالف ما وجد له عاصياً ربه بصلف وغرور وعبث ألا يعاقب..؟أوهذا مقتضى العدل..!

أين يعاقبه..؟ يقول تعالى :«إن جهنم كانت مرصاداً»[1] «نار الله الموقدة»[2] «هذه النار التي كنتم بها تكذبون»[3].

### ضخامة العقاب

ربما يتساءل البعض :

لماذا العقاب الإلهي ضخم قياساً الى الذنوب..؟

الدواعي عديدة ، منها الظاهرة :

أولاً- علو مقام الإله.

ثانياً- اعطاء العبد كل لوازم حمل الأمانة.

ثالثاً- كثرة معالم الهدى ووضوح سبله.

رابعاً- اتساع الفرص وتواليها طوال العمر.

خامساً- تشديد الردع.

### الجرائم المرشحة لجهنم

يقول تعالى:«إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً»[4]«إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها.. لهم من جهنم مهاد»[5] «وأما الذين فسقوا فمأواهم

(١) الآية ٢١ سورة النبأ (٣) الآية ١٤ سورة الطور (٥) الآيتان ٤٠ و ٤١ سورة الاعراف.
(٢) الآية ٦ سورة الهمزة (٤) الآية ٥٦ سورة النساء

النار»[٦] «وخاب كل جبار عنيد.. من ورائه جهنم»[٧] «إلا من اتبعك من الغاوين.. وإن جهنم لموعدهم»[٨] «إن هذا ما كنتم به تمترون»[٩] «وأن للطاغين لشر مآب.. جهنم يصلونها»[١٠] «إن الظالمين في عذاب مقيم»[١١] «إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»[١٢] «وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه»[١٣] «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم»[١٤] «واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً»[١٥] «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير»[١٦] «ويل لكل همزة لمزة»[١٧] «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً»[١٨] «إن الذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا ، أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة»[١٩].

فنفهم أن الجرائم المرشحة لعذاب جهنم هي:

أولاً- عدم التمسك بالمنهج الالهي.

ثانياً- التكذيب بوحي الله والاستكبار عليه.

ثالثاً- التمرد على أحكام الله من أمر ونهي.

رابعاً- التجبر والعناد إزاء الايمان والهدى .

خامساً- الضلال باتباع الشيطان.

سادساً- التشكك بما جاء من عند الله.

سابعاً- الطغيان بمناوأة الحق.

ثامناً- ايقاع الظلم بالنفس والآخرين والمنهج الالهي.

تاسعاً- أكل الحرام والصد عن الهدى.

عاشراً- الاسراف وعدم الايمان.

(٦) الآية ٢٠ سورة السجدة.
(٧) الآيتان ١٥ و ١٦ سورة ابراهيم.
(٨) الآيتان ٤٢ و ٤٣ سورة الحجر.
(٩) الآية ٥٠ سورة الدخان.
(١٠) الآيتان ٥٥ و ٥٦ سورة ص.
(١١) الآية ٤٥ سورة الشورى.
(١٢) الآية ٣٤ سورة التوبة.
(١٣) الآية ١٢٧ سورة طه.
(١٤) الآية ٩٨ سورة الأنبياء.
(١٥) الآية ١١ سورة الفرقان.
(١٦) الآية ١٠ سورة الملك.
(١٧) الآية ١ سورة الهمزة.
(١٨) الآية ١٠ سورة النساء .
(١٩) الآية ٤٠ سورة فصلت.

حادي عشر- عبادة غير الله.

ثاني عشر- التكذيب بالآخرة .

ثالث عشر- عدم الاستفادة من الحواس والعقل في التماس الحق الالهي واتباعه.

رابع عشر- الطعن بالناس والاستخفاف بهم.

خامس عشر- سرقة مال اليتيم.

سادس عشر- الميل عن الحق والاستقامة.

**عقاب مرير**

يقول تعالى :«سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار»[٢٠] «يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر»[٢١] «إنها لظى.. نزاعة للشوى»[٢٢] «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب»[٢٣] «لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش»[٢٤] «ويسقى من ماء صديد.. يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ»[٢٥] «قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم.. يصهر به مافي بطونهم والجلود.. ولهم مقامع من حديد.. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق»[٢٦] «وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون»[٢٧] «أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم..إنا جعلناها فتنة للظالمين..إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم.. طلعها كأنه رؤوس الشياطين.. فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون..ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم»[٢٨] «إن شجرة الزقوم.. طعام الأثيم.. كالمهل يغلي في البطون.. كغلي الحميم.. خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم.. ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم.. ذق إنك أنت العزيز الكريم»[٢٩] «هذا فليذوقوه حميم وغساق.. وآخر من شكله أزواج»[٣٠] «لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل»[٣١] «وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون

(٢٠) الآية ٥٠ سورة ابراهيم.

(٢١) الآية ٤٨ سورة القمر.

(٢٢) الآيتان ١٥ و ١٦ سورة المعارج.

(٢٣) الآية ٥٦ سورة النساء .

(٢٤) الآية ٤١ سورة الاعراف.

(٢٥) الآيتان ١٦ و ١٧ سورة ابراهيم.

(٢٦) الآيات ١٩-٢٢ سورة الحج.

(٢٧) الآية ٢٠ سورة السجدة.

(٢٨) الآيات ٦٢-٦٧ سورة الصافات.

(٢٩) الآيات ٤٣-٤٩ سورة الدخان.

(٣٠) الآيتان ٥٧و٥٨ سورة ص.

(٣١) الآية ١٦ سورة الزمر.

من طرف خفي»[٣٢] «وسقوا ماء حميماً فقطع امعاهم»[٣٣] «في سموم وحميم.. وظل من يحموم»[٣٤] «فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً»[٣٥] «وما أدراك ما سقر.. لاتبقي ولا تذر.. لواحة للبشر.. عليها تسعة عشر.. وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة»[٣٦] «ليس لهم طعام إلا من ضريع.. لا يسمن ولا يغني من جوع»[٣٧] «يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون»[٣٨] «إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً.. وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً»[٣٩] «لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها»[٤٠] «ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون»[٤١] «إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون.. في الحميم ثم في النار يسجرون»[٤٢] «ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[٤٣] «وبئس المهاد»[٤٤] «تكاد تميز من الغيظ»[٤٥] «كلا لينبذن في الحطمة.. وما أدراك ما الحطمة.. نار الله الموقدة.. التي تطلع على الأفئدة.. إنها عليهم مؤصدة.. في عمد ممددة»[٤٦] «وما لكم من ناصرين»[٤٧].

**عذاب دائم**

يقول تعالى: «ألا إن الظالمين في عذاب مقيم»[٤٨] «لابثين فيها أحقاباً»[٤٩] «ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد»[٥٠] «النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله»[٥١] «ولعذاب الآخرة أشد وأبقى»[٥٢] «فبئس

(٣٢) الآية ٤٥ سورة الشورى.
(٣٣) الآية ١٥ سورة محمد.
(٣٤) الآيتان ٤٢ و ٤٣ سورة الواقعة.
(٣٥) الآية ٣٠ سورة النبأ.
(٣٦) الآيات ٢٧-٣١ سورة المدثر.
(٣٧) الآيتان ٦ و ٧ سورة الغاشية.
(٣٨) الآية ٣٥ سورة التوبة.
(٣٩) الآيتان ١٢ و ١٣ سورة الفرقان.
(٤٠) الآية ٣٦ سورة فاطر.
(٤١) الآية ٤٧ سورة الزمر.
(٤٢) الآيتان ٧١ و ٧٢ سورة غافر.
(٤٣) الآية ٦ سورة التحريم.
(٤٤) الآية ١٢ سورة آل عمران.
(٤٥) الآية ٨ سورة الملك.
(٤٦) الآيات ٤-٩ سورة الهمزة.
(٤٧) الآية ٢٥ سورة العنكبوت.
(٤٨) الآية ٤٥ سورة الشورى.
(٤٩) الآية ٢٣ سورة النبأ.
(٥٠) الآية ٢٨ سورة فصلت.
(٥١) الآية ١٢٨ سورة الانعام.
(٥٢) الآية ١٢٧ سورة طه.

القرار»[٥٣].

## حق الوعيد

يقول تعالى :«وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون»[٥٤] «وقالوا مالنا لانرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار.. اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار.. إن ذلك لحق تخاصم أهل النار»[٥٥] «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين.. وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين.. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين»[٥٦] «وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير»[٥٧] «هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون»[٥٨].

# حقائق بلا تفاصيل

(عرش الرحمان) و (كرسيه) و (السماوات) و (خلقه ما لانعلم) حقائق نؤمن بوجودها رغم أننا لم نجد في القرآن الكريم سوى إشارات اليها خالية من تفاصيل مستفيضة تحدد ملامح كنهها.. ويبدو أن الخالق عز وجل يعلمنا من حقائق الغيب القدر الذي نستطيعه ونحتاج اليه في حياتنا فهو «الحكيم الخبير»[١].

## عرش الرحمان

ذكر عرش الرحمان في القرآن واحداً وعشرين مرة مجملاً من مثل قوله تعالى :«رفيع الدرجات ذو العرش»[٢] «رب العرش العظيم»[٣] «ذو العرش المجيد»[٤] «فسبحان الله رب العرش»[٥] «الرحمن على العرش استوى»[٦] «وكان عرشه على الماء»[٧].

---

(٥٣) الآية ٦٠ سورة ص.(٥٨) الآية ٤٣ سورة الرحمان.. للتوسع ينظر كتابي(ماذا بعد الموت؟)
(٥٤) الآية ٢٠ سورة السجدة.
(٥٥) الآيات ٦٢-٦٤ سورة ص.
(٥٦) الآيات ٦٠ و ٧١ و ٧٢ سورة الزمر
(٥٧) الآية ٣٧ سورة فاطر.

(١) الآية ١٨ سورة الانعام(٥) الآية ٢٢ سورة الانبياء
(٢) الآية ١٥ سورة غافر. (٦) الآية ٥ سورة طه.
(٣) الآية ١٢٩ سورة التوبة. (٧) الآية ٧ سورة هود
(٤) الآية ١٥ سورة البروج.

**كرسيه**

ذكر كرسي الإله في القرآن مرة فقط في قوله تعالى:

«وسع كرسيه السموات والأرض»[٨].

وفي الحديث النبوي (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس) و (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)[٩].

**السماوات**

جاء ذكر السماوات في القرآن مرات عديدة مثل قوله تعالى :

«خلق الله سبع سموات طباقاً»[١٠] «رفع السموات بغير عمد ترونها»[١١] «وأوحى في كل سماء أمرها»[١٢].

**خلقه ما لا نعلم**

يقول تعالى :«ويخلق ما لا تعلمون»[١٣].. فنفهم:

أولاً- الكون المعقول ليس هو كل الوجود.

ثانياً- لا يصح انكار ما نجهل وجوده.

ثالثاً- اقتدار الله تعالى لا يقتصر على ما علمناه.

## وحي خاص

**الوحي لبشر صالحين**

أولاً- يقول تعالى :«إذ أوحينا الى أمك مايوحى.. أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني»[١].

ألهم الله أم موسى عليه السلام أن تضع وليدها في صندوق وتلقيه في نهر النيل ففعلت ، وقد حمله تيار الماء الى الساحل أمام قصر فرعون الحاكم الباحث بكل الجند عن ابناء الاسرائيليين حديثي الولادة ليذبحهم ، وبتأثير

---

(٨) الآية ٢٥٥ سورة البقرة.

(٩) أوردهما الامام محمد بن عبدالوهاب في كتابه (التوحيد) ص٢٢٦.

(١٠) الآية ١٥ سورة نوح.

(١١) الآية ٢ سورة الرعد.

(١٢) الآية ١٢ سورة فصلت ينظر كتابي (اسماء الله وعلاقتها بمخلوقاته) موضوع : ملك السماوات والأرض.

(١٣) الآية ٨ سورة النحل.

(١) الآيتان ٣٨ و ٣٩ سورة طه

المحبة التي ألقاها الله على هذا الطفل إذا بفرعون يتخلى عن قراره الصارم نزولاً عند التماس زوجته باستثناء هذا الولد من الذبح ، بل وأكثر من هذا التكفل بتربيته..!

ثانياً- يقول تعالى :«وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين»[٢].

نقلت رسل من الملائكة الى أم عيسى عليه السلام بشائر الاصطفاء لحدث مفرد في تاريخ البشرية ألا وهو ولادة المسيح من غير أب بتلقي مريم نفخة الروح مباشرة كما حصل لآدم عليه السلام في أول الخليقة..!

اصطفاء لم تتبين السيدة مريم شأنه إلا عند الولادة ، ما كان عند تلقيه من الملائكة المرسلين إلا مجرد بشارة بلا تفاصيل اقترنت ببشارة أخرى تحضيراً للحدث العظيم هي الشهادة من رب العزة والجلال بأنها طاهرة ليكون هذا التحصين سياجاً تتكسر عنده أمواج الشبهات العاتية فيما بعد ، أما الاصطفاء الآخر أي ثالثة البشائر فكان بتفضيلها على نساء العالمين اطلاقاً..![٣].

ثالثاً- يقول تعالى :«وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون»[٤].

ألهم الله الحواريين أن يؤمنوا به وبرسوله فما أن جاءتهم البينات وتلقوا التبليغ من عيسى عليه السلام اعلنوا الإيمان وأشهدوه بأنهم أسلموا أنفسهم كاملة لخالقها سبحانه.

## الوحي للملائكة

يقول تعالى :«وإذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان»[٥].

أمر الله عز وجل ملائكته بأن يتوجهوا الى بدر بمعيته للاشتراك في المعركة الى جانب المؤمنين القلة تثبيتاً لهم إزاء المشركين الكثرة واعداً بالقاء الرعب في قلوب الاعداء ومقرراً أن يتصرف الملائكة على النحو المحقق لانتصار المؤمنين

(٢) الآية ٤٢ سورة آل عمران.
(٣) سيأتي لاحقاً استعراض أوسع لشأن السيدة مريم.
(٤) الآية ١١١ سورة المائدة.
(٥) الآية ١٢ سورة الانفال

بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا ماقد تم انجازه فعلاً على أروع ما يكون..!

## الوحي لمخلوقات أخرى

أولاً- يقول تعالى :«وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون.. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون»(٦).

ألهم الله النحل التصرف بمقتضى ما فطرت عليه بأن تتخذ بيوتها في الجبال والشجر والسقائف المرفوعة مذللاً سبل الحياة أمامها.. وقد نتساءل : لماذا الالهام للنحل مع التنويه..؟ لأنه «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس» شفاء مطلق للناس عموماً..! ليتفكر أصحاب العقول في أمر حشرة بقدر رأس الاصبع تدر ذلك الشراب المعجز ، حشرة لا تضاهيها مصانع الدواء البشري كلها على ضخامة ما فيها في العصر الحديث من علوم وجهود وخبرات وأموال هي عطاء رباني أيضاً رغم ما يتوهمه البعض بأنها محض ملكه لكونها من كسبه..!

ثانياً- يقول تعالى :«وأوحى في كل سماء أمرها»(٧).

جعلها سبحانه تعمل بقوانين تنظم شؤونها حسب إرادته.

ثالثاً- يقول تعالى :«إذا زلزلت الأرض زلزالها.. وأخرجت الأرض أثقالها.. وقال الإنسان مالها.. يومئذ تحدث أخبارها.. بأن ربك أوحى لها»(٨).

يأمر الله الأرض بأن تتزلزل قياماً للساعة ، فبالزلزال يخرج فيه هذا الجرم كل أثقاله التي طال حملها ويلقي بالكتل متناثرة في الفضاء الى غير رجعة ، لأن الحادث ليس عارضاً كالزلازل البسيطة التي تشبه جروحاً تلتئم وإنما هو خاتمة المطاف تنتهي عندها فصول الحياة الدنيا مؤذنة بحلول العالم الأبدي.

---

(٦) الآيتان ٦٨ و ٦٩ سورة النحل.

(٧) الآية ١٢ سورة فصلت.

(٨) الآيات ١-٥ سورة الزلزلة.

# غيب مكشوف

## قصة الإنسان الأول

### إيجاد آدم

يقول تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم مالا تعلمون»[1] «إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين»[2] «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون»[3] «خلق الإنسان من صلصال كالفخار»[4] «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»[5] «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.. قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.. قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين»[6].. فنفهم:

أولاً- مشيئة الخالق بايجاد خليفة في الأرض.

ثانياً- المخلوق الجديد ذو إرادة تحتمل الهدى والضلال.

ثالثاً- الإنسان الأول خلق من مادة الطين.

رابعاً- خلق الله آدم بيده ولهذا الأمر دلالة عظمى.

خامساً- نفخ فيه من روحه، وبالها من نسبة..!

سادساً- أسجد ملائكته لآدم تكريماً لجنسه.

### العيش في الجنة

يقول تعالى: «فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى»(٧) «وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين»(٨) «إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى.. وأنك لا تظمأ فيها ولا

---

(١) الآية ٣٠ سورة البقرة. (٢) الآية ٧١ سورة ص.

(٣) الآية ٢٦ سورة الحجر .. الحمأ طين أسود متغير الرائحة لطول مجاورته الماء.

(٤) الآية ١٤ سورة الرحمان .. الصلصال هو الطين اليابس الذي يظهر صوته عندما ينقر عليه.

(٥) الآية ٢٩ سورة الحجر. (٧) الآية ١١٧ سورة طه.

(٦) الآيات ٣١-٣٤ سورة البقرة. (٨) الآية ٣٥ سورة البقرة.

تضحى»(٩).. فنفهم :

أولاً- عاش آدم وزوجه أول الأمر في الجنة.

ثانياً- حذرهما سبحانه من عدو يعرفانه هو إبليس.

ثالثاً- نهاهما عن شجرة.

رابعاً- التكليف كان على أضيق نطاقه.

خامساً- لا معاناة تذكر في هذا العيش.

الخطيئة

يقول تعالى :«فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين.. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين.. فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين.. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»(١٠).. فنفهم :

أولاً- إنهما قد وقعا في إغواء الشيطان.

ثانياً- عصيا الله تعالى.

ثالثاً- فقدا بعض النعم الجليلة.

رابعاً- استغفرا الله وطلبا الرحمة إشفاقاً من الخسار.

## الهبوط على الأرض

يقول تعالى :«فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم»(١١)«قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين.. قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون»(١٢) «فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى»(١٣) «يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة»(١٤).. فنفهم :

أولاً- قبل الله تعالى توبة آدم وزوجه.

ثانياً- أهبطهما الأرض للخلافة فيها.

ثالثاً- الأرض دار بلاء وامتحان على نطاق واسع.

---

(٩) الآيتان ١١٨ و ١١٩ سورة طه.

(١٠) الآيات ٢٠-٢٣ سورة الاعراف.

(١١) الآية ٣٧ سورة البقرة.

(١٢) الآيتان ٢٤ و ٢٥ سورة الاعراف.

(١٣) الآية ١٢٣ سورة طه.

(١٤) الآية ٢٧ سورة الاعراف.

رابعاً- أعلمهما بأن العداوة ستنشأ بين ذريتهما وأن الأرض ستكون دار إقامة يعمرونها ويتمتعون فيها الى حين انتهاء آجالهم.

خامساً- من اهتدى بالمنهج الالهي استقام وفاز ومن أبى فله الضلال والخسران.

سادساً- تحذير ذرية آدم من فتنة الشيطان ولهم في اخراج أبويهم من الجنة لأكبر العبرة وأوضحها(١٥).

## الكتب المنزلة

### بيان التكليف وسبله

يقول تعالى :«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»[١] «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة»[٢]..الإنسان مكلف بالعبادة والاستخلاف.. ماشكل العبادة وأحكامها..؟ وما منهج الاستخلاف ومعالمه..؟

بيان ذلك نجده في الكتب التي جاء بها المرسلون وحياً من عند الله تعالى كالتوراة والانجيل والقرآن.. فالقرآن يقول عنه المنزل الحكيم: «هذا بيان للناس»[٣] «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم»[٤] «يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم»[٥].

ويقول سبحانه بشأن الإنجيل :«وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه»[٦].. وعن التوراة يقول تعالى :«وعندهم التوراة فيها حكم الله»[٧] وفيما يعني اليهود والنصارى معاً يقول تعالى :«وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس»[٨].

وبخصوص كتب التكليف والتشريع السابقة إجمالاً يقول تعالى :«لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»[٩].

### حق إلهي محفوظ

ماذا في القرآن..؟

---

(١٥) للتوسع ينظر كتابي (القرآن يفك لغز الأرض) وكتابي (كيف عاش آدم).

(١) الآية ٥٦ سورة الذاريات. (٤) الآية ٤٤ سورة النحل.(٧) الآية ٤٣ سورة المائدة.

(٢) الآية ٣٠ سورة البقرة. (٥) الآية ٢٦ سورة النساء.(٨) الآية ١٨٧ سورة آل عمران.

(٣) الآية ١٣٨ سورة آل عمران.(٦) الآية ٤٧ سورة المائدة.(٩) الآية ٢٥ سورة الحديد.

«هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»[١٠] «كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد»[١١] «نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا»[١٢] «ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل»[١٣] «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين»[١٤] «قد جاءكم بصائر من ربكم»[١٥] «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»[١٦] .

هذا سعي القرآن ودأبه منذ حوالي خمسة عشر قرناً وسيبقى هكذا طوال فترة التكليف الأرضي.. قرأه الانسان في مبتدأ التنزيل فاهتدى ويقرأه الانسان قبيل قيام الساعة فيجد فيه الفعل والتأثير ذاتهما..!

## وآخر منسوخ

ماذا في التوراة والانجيل..؟

يقول تعالى :«إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور»[١٧] «وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور»[١٨] «ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم»[١٩].

ما فعل بهما اليهود والنصارى اذن..؟

يقول تعالى:«أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون»[٢٠] «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه» [٢١] «ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون.. ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير»[٢٢].

هم مدعوون الى الاسلام إذن..؟

---

(١٠) الآية ١٣٨ سورة آل عمران
(١١) الآية ١ سورة ابراهيم.
(١٢) الآية ١٠٢ سورة النحل.
(١٣) الآية ٨٩ سورة الإسراء.
(١٤) الآية ٨٩ سورة النحل.
(١٥) الآية ١٠٤ سورة الانعام
(١٦) الآية ٩ سورة الاسراء.
(١٧) الآية ٤٤ سورة المائدة .
(١٨) الآية ٤٦ سورة المائدة.
(١٩) الآية ٦٦ سورة المائدة.
(٢٠) الآية ٧٥ سورة البقرة.
(٢١) الآية ٤٦ سورة النساء.
(٢٢) الآيتان ١٤ و ١٥ سورة المائدة.

يقول تعالى :«قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا ،بينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»[٢٣] «إن الدين عند الله الاسلام»[٢٤] «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه»[٢٥].

وهنا نتساءل : لمَ القرآن يحفظ من التحريف ولايحفظ التوراة والانجيل وكلها كتب من عند الله تعالى ..؟

إن ربنا أراد للتوراة والانجيل النسخ بكتابه المجيد القرآن المتعهد بحفظه طوال فترة التكليف ليكون منهج البشرية الالهي الأوحد القويم الى آخر أيام الأرض..!

فيكون متبع القرآن قد أحسن الاختيار ، ويكون الرافض له آخذاً بتعاليم منسوخة لم يتعهد الله تعالى بحفظها بعد نزول القرآن ، فامتدت اليها أيادي التحريف المتاجرة بالدين ومن ثم صارت نسبتها الى الله تنطوي على زور كبير..!

إنه لتحريف صارخ ذلك الذي يملأ ماسمي التوراة والانجيل نجده بعد مجيء الاسلام يحفز العاقل الى البحث عن الحق المبين في سواهما.

التحريف يزعم مثلاً أن ابراهيم - خليل الرحمان - (كذاب) وأن لوطاً - عليه السلام - (زنا بابنتيه) وهارون - عليه السلام - (دعا الاسرائيليين الى عبادة العجل) وداود - عليه السلام - (زنا بزوجة أوريا) وسليمان- عليه السلام- (عبد الأصنام ارضاء لزوجته)..!!

أهذا فعل أنبياء..!؟ أين عصمتهم إذن..!؟ الى هذا الدرك ينحدر المحرفون وهم يفترون الكذب على أقدس مالديهم وما يشعرون..!

وبإمعان النظر في ذلك نجد أن أهل الكتاب يقومون بدور هائل في طمس ديانتيهم من حيث لايشعرون ذلك بتحريفهما وبالتالي اتباع أباطيل اخترعها الأحبار والرهبان على طول العصور..!

تحريفهم هو نسخ للديانتين بطريقة أخرى تمثلت بسوء فعلهم في رفض الحق الخاتم المختار- الاسلام- وتحريف الحق المنتهي دوره- ممثلاً بالتوراة والانجيل - ومن ثم التمسك بتعاليم تولى البشر تلفيق الكثير من مفرداتها منذ تاريخ بعيد ونحتها

(٢٣) الآية ٦٤ سورة آل عمران (٢٤) الآية ١٩ سورة آل عمران (٢٥) الآية ٨٥ سورة آل عمران.

بمرور الزمن..!

إنه درس كبير ليتهم يستوعبونه..!

الله تعالى نسخ الديانتين وأمر أتباعهما باتباع الاسلام فرفض أكثرهم..! لماذا..؟ إنهم يريدون البقاء على الديانتين متاجرة وجهلاً وأنفة..! فما حصل..؟ تسلطوا بضلالهم على النصوص الربانية في التوراة والانجيل فحرفوها وفق مايشتهون طوال القرون الماضية..!

فما بقي منها..؟ لم يبقَ شيء يعتد به..!

نسخ للتوراة والانجيل قررته السماء ، وطمس لما احتوياه من الحق المنسوخ مارسه الضالون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً..! نسخ الله تعالى الديانتين فسحاً للطريق أمام أكمل الأديان وخاتمها ليقوم بدوره الأكبر في حياة الناس جميعاً ، وحين أبى الضالون ذلك تركهم سبحانه يحققون النسخ واقعياً بطريقتهم الخاصة بتحريفهم الحق وطمسه..!وهكذا لم نعد نخشى مزاحمة للاسلام ، فبالضدين أخذ الحق الالهي يتميز..!

## ليلة القدر

إنها ليلة بدء نزول القرآن الكريم على خاتم الرسل والأنبياء صلى الله عليه وسلم.. يقول تعالى :«إنا أنزلناه في ليلة القدر.. وما أدراك ما ليلة القدر.. ليلة القدر خير من ألف شهر.. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر.. سلام هي حتى مطلع الفجر»[٢٦] «إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين.. فيها يفرق كل أمر حكيم.. أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين.. رحمة من ربك إنه هو السميع العليم»[٢٧].

ليلة في رمضان :«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان»[٢٨].

وفي الحديث النبوي:(تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان)[٢٩].. وورد في تعيينها آثار كثيرة ، بعضها يحدد الليلة السابعة والعشرين من شهر الصيام الكريم.

لماذا الحث على تحريها..؟ يقول صلى الله عليه وسلم :(من قام ليلة القدر

(٢٦) سورة القدر.

(٢٧) الآيات ٣-٦ سورة الدخان.

(٢٨) الآية ١٨٥ سورة البقرة.

(٢٩) رواه في الصحيحين .

إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه»[٣٠].. وعلى أية حال فإن من قام العشر الأواخر يكون قد أدرك ليلة القدر وحظي بما قدر الله تعالى للقائمين إيماناً واحتساباً من غفران ورحمة وأجر عظيم.

ليلة تستحق كل الاحتفاء بها من الناس لاسيما المؤمنين.. أولم ينزل الله تعالى فيها القرآن الكريم الذي هو أصل الخير العظيم الذي يحوزه المؤمنون في الدنيا والآخرة..؟!

## الرسل والأنبياء

### صفوة الخلق

الرسل والأنبياء نماذج بشرية يتسم تكوينها الشخصي بالطراز الرفيع والمستوى المرموق.. فالقدوة كلما تحلت بخصال عالية كلما أمكن التأسي بها على نحو حسن سريعاً وبقوة وعلى أوسع نطاق ، ولذا فإن اصطفاء خيرة الخلق لمهام النبوة في التبليغ عن الله تعالى لأمر يدل على حكم عظيمة لايخفى مغزاها..!

يقول تعالى :«الله أعلم حيث يجعل رسالته»[١] «نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم»[٢] «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين »[٣] «أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين»[٤] «وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني»[٥] «واصطنعتك لنفسي»[٦] «فإنك بأعيننا»[٧] «وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك»[٨].

### صفات مشتركة

ما أجود وأسمى صفات الرسل والأنبياء..!

وما أبلغ وأجمل وصفها في القرآن..!

يقول تعالى :«وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم»[٩] «إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق»[١٠] «وجعلنا لهم أزواجاً وذرية»[١١] «وما

(٣٠) روياه في الصحيحين.
(١) الآية ١٢٤ سورة الانعام.
(٢) الآية ٨٣ سورة الانعام.
(٣) الآية ٣٣ سورة آل عمران.
(٤) الآية ٥٨ سورة مريم.
(٥) الآية ٣٩ سورة طه.
(٦) الآية ٤١ سورة طه.
(٧) الآية ٤٨ سورةالطور.
(٨) الآية ٦ سورة يوسف.
(٩) الآية ٧ سورة الانبياء.
(١٠) الآية ٢٠ سورة الفرقان.
(١١) الآية ٢٨ سورة الرعد.

أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه»[١٢] «من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون»[١٣] «ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين.. وأعلم من الله مالا تعلمون»[١٤] «ليس بي سفاهة»[١٥] «وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله»[١٦] «وما أدري ما يفعل بي ولابكم إن أتبع إلا ما يوحى الي وما أنا إلا نذير مبين»[١٧] «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته»[١٨] «وما أرسلناك عليهم وكيلاً»[١٩] «فمن ينصرني من الله إن عصيته»[٢٠].

## مهام أساسية

يقول تعالى :«وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين»[٢١] «إني أمرت أن أكون أول من أسلم.. وإنني بريء مما تشركون»[٢٢] «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين»[٢٣] «إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم»[٢٤] «وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله»[٢٥] «أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين»[٢٦] «قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب»[٢٧].

يقول الشيخ الدهلوي :(فالأنبياء كان أول دعوتهم وأكبر هدفهم في كل زمان وفي كل بيئة تصحيح العقيدة في الله تعالى وتصحيح الصلة بين العبد وربه والدعوة الى اخلاص الدين لله وحده وافراد العبادة لله وحده وأنه النافع الضار المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك وحده... وكانت حملتهم مركزة موجهة الى الوثنية القائمة في عصورهم الممثلة بصورة واضحة في عبادة الأوثان والأصنام والصالحين والمقدسين من الأحياء والأموات)[٢٨].

---

(١٢) الآية ٤ سورة ابراهيم. (١٨) الآية ٥٢ سورة الحج. (٢٣) الآية ٧٩ سورة آل عمران.
(١٣) الآية ٢١ سورة يس. (١٩) الآية ٥٤ سورة الاسراء (٢٤) الآية ١٣٥ سورة الشعراء.
(١٤) الآيتان ٦١ و ٦٢ سورة الاعراف. (٢٥) الآية ٧٨ سورة غافر.
(١٥) الآية ٦٧ سورة الاعراف (٢٠) الآية ٦٣ سورة هود. (٢٦) الآية ٦٨ سورة الاعراف.
(١٦) الآية ٦٤ سورة النساء (٢١) الآية ٤٨ سورة الانعام (٢٧) الآية ٨٨ سورة هود.
(١٧) الآية ٩ سورة الاحقاف. (٢٢) الآيتان ١٤ و ١٩ سورة الانعام (٢٨) كتابه (حجة الله البالغة).

**مزايا خاصة**

أولاً- يقول تعالى :«ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض»(٢٩).. ومن مظاهر هذا التفضيل أن جمع الله تعالى لبعضهم فضل الرسالة مع شرف النبوة ، إذ أن الرسل كلهم أنبياء وليس كل الأنبياء رسلاً ، فالنبوة إذا اقتصرت على صاحبها سمي نبياً وإذا اقترنت بتكليف يتولى تقويم سلوك جماعة من الناس سمي هذا التكليف رسالة وصار مبلغها يدعى رسولاً(٣٠).

ثانياً- يقول تعالى :«تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات»(٣١).. يقول صاحب الظلال :(والتفضيل هنا يتعلق بالمحيط المقدر للرسول والذي تشمله دعوته ونشاطه كأن يكون رسول قبيلة أو رسول أمة أو رسول جيل أو رسول أمم كافة في جميع الأجيال.. كذلك يتعلق بالمزايا التي يوهبها لشخصه أو لأمته كما يتعلق بطبيعة الرسالة ذاتها ومدى شمولها لجوانب الحياة الإنسانية والكونية)(٣٢).

ثالثاً- يقول تعالى :«فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل»(٣٣).. وهم خمسة : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم افضل الصلاة والسلام.. ولقد جاءتهم الصفة (أولو العزم) من كونهم عانوا الكثير من الشدائد والمحن والآلام في تبليغ رسالاتهم.

رابعاً- يقول تعالى :«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»(٣٤).. أرسل سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء صلى الله عليه وسلم بالمنهج الالهي المكتمل الذي يحقق سعادة الدارين للناس جميعاً الى قيام الساعة.

**التوحيد الالهي**

هو العقيدة التي اشترك جميع الرسل في تبليغها للناس كافة طوال العصور السالفة منذ أبينا آدم عليه السلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المرسل بتمامها طوال الشوط الممتد الى يوم القيامة.

كل منهم وضع لبنة في صرحها.. فنجد:

---

(٢٩) الآية ٥٥ سورة الاسراء.

(٣٠) ينظر (مع الانبياء في القرآن الكريم) ص١١

(٣١) الآية ٢٥٣ سورة البقرة.

(٣٢) (في ظلال القرآن) المجلد ١ ص٤١٢.

(٣٣) الآية ٣٥ سورة الاحقاف.

(٣٤) الآية ١٠٧ سورة الانبياء .

أولاً- محور العقيدة ظل واحداً يتمثل بعبادة الخالق وحده.
ثانياً- لا تضارب في الأمر والنهي والارادة والهدف.
ثالثاً- عمـل منسق يربطه التدرج في التكليف.
رابعاً- ملامح الغيب الإلهي بقيت واحدة في أقوال الجميع رغم تباعد الأزمنة واختلاف البيئات.

كيف..؟ يقول تعالى :«وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون»[٣٥] «اتبع ما أوحي اليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين»[٣٦] «ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت»[٣٧] «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»[٣٨].

كلمات متشابهة ذات مدلول واحد آمن بها وبشر مبلغون لا يحصي عددهم إلا الله تعالى سمى لنا منهم في القرآن خمسة وعشرين رسولاً هم : آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وابراهيم واسماعيل ولوط واسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وأيوب وذو الكفل وموسى وهارون وداود وسليمان والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً افضل الصلاة والسلام.

وقال تعالى :«ورسلاً لم نقصصهم عليك»[٣٩] «ولكل أمة رسول»[٤٠] و «لكل قوم هاد»[٤١].

## التبليغ النبوي رحمة

أن يتولى إنسان تبليغ الناس بأمر ربهم يذكر الناسي ويعلم الجاهل ويرشد التائه ويقوم المنحرف ويسدد المخطئ وينصح العنيد ويضرب لهم مثلاً في نفسه إذ يؤمن بوعي ويلتزم بقوة وينفذ بأمانة ويدعو بعزم لهو رحمة جلي.

يقول تعالى :«إنا كنا مرسلين.. رحمة من ربك»[٤٢] «قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل

(٣٥) الآية ٢٥ سورة الانبياء.
(٣٦) الآية ١٠٦ سورة الانعام.
(٣٧) الآية ٣٦ سورة النحل.
(٣٨) الآية ١٣ سورة الشورى.
(٣٩) الآية ١٦٤ سورة النساء.
(٤٠) الآية ٤٧ سورة يونس.
(٤١) الآية ٧ سورة الرعد.
(٤٢) الآيتان ٥ و ٦ سورة الدخان.

مسمى... قالت لهم رسلهم إننحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون.. وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا»[٤٣] «وما علينا إلا البلاغ المبين»[٤٤] «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون»[٤٥] «ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»[٤٦].

## آيــات

حتى يسهل على الناس الايمان برسالة السماء اعطى الله تعالى آيات لرسله تقطع جزماً بأنهم مبعوثون الى قومهم من عند الخالق عز وجل وليسوا هم مدعين.. ولقد حفل القرآن الكريم بذكر آيات عديدة كل منها كان تأييداً لرسول معين ، وهذه المعجزات مزيد رحمة ممن يقول للشيء كن فإذا هو كائن كما أراد.. وتمثيلاً يقول تعالى :

«إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر.. ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر»[٤٧] «قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم.. ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم»[٤٨] «قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين..قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم»[٤٩] «وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء اسحق يعقوب.. قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب.. قالوا أتعجبين من أمر الله»[٥٠] «فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم»[٥١] «وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين»[٥٢] «ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب

---

(٤٣) الآيات ١٠-١٢ سورة ابراهيم.
(٤٤) الآية ١٧ سورة يس.
(٤٥) الآية ٤٤ سورة النحل.
(٤٦) الآية ١٢٥ سورة النحل.
(٤٧) الآيتان ٢٧ و ٢٨ سورة القمر.
(٤٨) الآيتان ١٥٥ و ١٥٦ سورة الشعراء.
(٤٩) الآيتان ٦٨ و ٦٩ سورة الانبياء.
(٥٠) الآيات ١-٣ سورة هود.
(٥١) الآية ٦٣ سورة الشعراء.
(٥٢) الآية ٦٠ سورة البقرة.

السعير»[٥٣] «قال ربِ أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء»[٥٤] «والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين»[٥٥] «إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين»[٥٦] «قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»[٥٧].

**تراكم الهدى والعبر**

لماذا تتابع الأنبياء والرسل ..؟ولماذا كثرة المعجزات..؟ولماذا تزايد الهدى ..؟ ولماذا وفرة العبر..؟ يقول تعالى :«رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً»[٥٨] «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون إن الله بكل شيء عليم»[٥٩].

## خاتم المبعوثين

**نشأة العظيم**

تبليغ كبرى رسالات الله للناس جميعاً منذ حوالي خمسة عشر قرناً والى قيام الساعة ، أليس هو مهمة عظمى..؟ بلى وأيم الله ، لا يقدر على النهوض باعبائها سوى إنسان هو أكمل الخلق بكل معنى الكلمة..! وهذا هو ماحصل فعلاً ، فآثار حياة محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - تدل بوضوح على أنه من صفوة الخلق ، بل إنه إمام الصفوة..!

إنسان طرازه الشخصي فريد ومهمته في الوجود عظمى وأثره في حياتنا الانسانية عميق لاشك أن حالته تجعلنا نتساءل : كيف نشأ..؟ الجواب : بلا رعاية أبوين.. إنه الابن الأوحد لرجل توفي قبل أن يرى ما تحمل امرأته في أحشائها ،

---

(٥٣) الآية ١٢ سورة سبأ.
(٥٤) الآية ٤٠ سورة آل عمران.
(٥٥) الآية ٩١ سورة الانبياء.
(٥٦) الآية ١١٠ سورة المائدة.
(٥٧) الآية ٨٨ سورة الاسراء.
(٥٨) الآية ١٦٥ سورة النساء.
(٥٩) الآية ١١٥ سورة التوبة.

وأمه توفيت أيضاً بعد ولادته بأعوام ستة..!

كيف يدرج بلا حنو أبوين ليصبح أخيراً أكمل الخلق..؟

هذا أمر الله الذي ينفذ دون إعاقة من مستحيل..!

وهناك حكم جليلة وراء هذا التدبير الالهي منها :

أولاً- إنه صلى الله عليه وسلم ولد في مجتمع وثني للأبوين آثار كبيرة في توجيه سلوك ابنهما وتنشئته مشبعاً بقيم الشرك وعبادة الأصنام.. إنه كان سيتلقى حنان أبويه وحبهما مشاعر ممزوجة بقيم باطلة ، فأراد الله تعالى باليتم أن يخلصه من هذا التعكير التربوي لأنه يعد ربانياً لمهمة دحض الشرك بشتى أصنافه وفضح الباطل بمختلف أشكاله طوال فترة الوجود الأرضي بأكمل الأديان..!

ثانياً- لو عاش أبواه لحرصا على أن يتعلم ابنهما القراءة والكتابة فيما كان الله تعالى يريده أمياً ليكون الاعجاز في رسالته أوضح وأتم وأبلغ..!

ثالثاً- ولو عاش أبواه لربما جعلاه ينشأ على أنماط سلوك تتعارض مع النمط الرباني الذي أراده الله تعالى لنبيه العظيم حتى في طفولته.. ومن هنا نجد في كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في طفولته وحياته كلها يكره الأصنام ولا يحضر مجالس اللهو والغناء.

يقول صلى الله عليه وسلم :(ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية[1] يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبينه ، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته،قلت ليلة لغلام يرعى معي بأعلى مكة:لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب ، فقال : أفعل.. فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً فقلت : ماهذا..؟ فقالوا : عرس فلان بفلانة ، فجلست أسمع ، فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت الى صاحبي فسألني فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة ، ثم ما هممت بعده بسوء)[2].

يقول تعالى لنبيه :«ألم يجدك يتيماً فآوى»[3].. أنظر وراءك الى حياة

(١) الجاهلية هي العصر السابق للاسلام ، وقد سماه القرآن بهذا الإسم لما كان يستحل فيه من الاثم والخبث والظلم.

(٢) (الكامل في التاريخ) لابن الاثير الجزء الثاني.

(٣) الآية ٦ سورة الضحى.

اليتم وتذكر رعاية الخالق لك حتى غدوت أكمل الخلق..! ويوصيه تعالى :«فأما اليتيم فلا تقهر»[٤].. يامن عرفت اليتم إياك أن تقهر يتيماً..!

وهل أن أكمل الخلق الذي يصفه تعالى بقوله «وإنك لعلى خلق عظيم»[٥] قهر يتيماً..؟! لا وربي، إنه تعليم لأتباعه ، فإذا كان النبي يحذر في القرآن الخالد من قهر اليتيم فغيره الذين لم يؤتوا ما أوتيه من علو الأخلاق أولى بالتحذير ، ولذا فإنه صلى الله عليه وسلم كان يوصي كثيراً باليتيم حتى اعتبر مسح رأسه - حنواً وشفقة - مذهباً لقسوة القلب..![٦].

## أمية الرسول

لو كانت الأمية دليلاً أوحد على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكفت..! رجل يبلغ الأربعين وهو لا يقرأ ولا يكتب اطلاقاً وإنه أحد قوم أميين ، فإذا به يعلن على غير توقع منهم أنه مبعوث برسالة السماء من عند خالق الكون لا إله إلا هو ، وهي دعوة تناقض مجتمعه الوثني كلياً وتطعنه في الصميم..!

ويقرأ العارفون رسالته.. فإذا الكلام كله فوق إمكان البشر اعداده ويصلح لمخاطبة كل فرد في العالم متوغلاً الى أغوار قلبه وسريعاً ما يقنع ذوي العقل والنباهة المنصفين بأنه كلام خالق الإنسان والحياة والكون يقوم بتبليغه رجل لم يكن ذا سابقة في العلم مدللاً بأميته على أنه مجرد ناقل عن الله عز وجل..!

لو كان يقرأ ويكتب لقالوا إنه من تلفيقه..! يقول تعالى :«وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان»[٧] «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون»[٨] «وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون»[٩] «قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون»[١٠] «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة»[١١].

بلا مقدمات راح هذا الرجل الكريم يبلغ الرسالة.. فجأة اعلن الأمي أنه رسول

---

(٤) الآية ٩ سورة الضحى. (٨) الآية ٤٨ سورة العنكبوت. (١٠) الآية ١٦ سورة يونس.
(٥) الآية ٤ سورة القلم. (٩) الآية ١٠٥ سورة الانعام. (١١) الآية ٢ سورة الجمعة.
(٦) عن أبي هريرة : إن رجلاً شكا الى رسول الله قسوة قلبه .. فقال له :(امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين) رواه احمد.
(٧) الآية ٥٢ سورة الشورى.

وراح يتلو على قومه آيات الله تعالى المطهرة للنفوس من الصفات الخبيثة لتغرس فيها أسمى الفضائل وراح يعلمهم القرآن وهو أجل الكتب وزناً وراح يعلمهم الحكمة أيضاً وأي حكمة من عليم حكيم..!

وأشهد على صدق نبوته أهل العلم والكتاب :«الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل»[١٢].. عليك سيدي افضل الصلاة والسلام كما يليق بشأنك العظيم.

**خصلتا الصدق والأمانة**

اشتهار الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بخصلتي الصدق والأمانة بشكل بارز ومرموق وبما يغلب على شخصيته أكثر من مكارم الأخلاق الأخرى لهو تدبير من الله تعالى مقصود لوضوح دلالته..!

فالإخبار عن الخالق يحتاج الى لسان صادق صدوق..!

والتبليغ عنه عز وجل يتطلب ذمة أمين مؤتمن..!

وشهرة النبي بالصفتين أمر له أكبر المغزى..!

عندما اعلن الرسول دعوته طعن سفهاء قريش بصدقه وأمانته من طرف خفي قائلين :«أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون»[١٣].. فرد عليهم منزل القرآن سبحانه وتعالى بقوله :«بل جاء بالحق وصدق المرسلين»[١٤].

ثمة حوادث يتذكرها القرشيون كلهم يرد صداها على تلك السفاهات.. عندما اختلف زعماء مكة فيمن يضع الحجر الأسود في موضعه لدى اعادة بناء الكعبة ارتضوا أن يحكموا بينهم أول من يدخل عليهم فكان محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - هو الحكم المنتظر فاطمأن الجميع له لما يعهدونه فيه من الأمانة وصدق الحديث وقالوا : هذا الأمين رضيناه ، هذا محمد.. لأنهم كانوا في ذلك الوقت أي قبل بعثته يتحاكمون اليه إذ كان لا يداري ولا يماري[١٥].

وقال لهم عقب البعثة : (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي..؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذباً.. قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[١٦].

(١٢) الآية ١٥٧ سورة الاعراف.(١٣) الآية ٣٦ سورة الصافات (١٤) الآية ٣٧ سورة الصافات.

(١٥) ينظر (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) ص١٤.

(١٦) المصدر نفسه ص٣٦.

## دعاء ابراهيم
## وبشارتا التوراة والانجيل

أولاً- يقول تعالى :«ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم»[١٧].. إنها دعوة ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان قواعد البيت الحرام في مكة..

قال أبو أمامة : (قلت : يانبي الله ما كان أول بدء أمرك..؟ قال : دعوة أبي ابراهيم)[١٨].

ثانياً- وفي التوراة جاء في سفر تثنية الاشتراع مانصه :(أتى الرب من طور سيناء وارتفع من صير وشع شعاعه من فاران وتقدم الى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار ومن يمينه خرج كتاب التقوى).. ففاران هو اسم الحجاز القديم وهي البلاد التي ظهر فيها محمد رسول الله خاتم الأنبياء ، وأما (التقدم الى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار) فهو زحف المسلمين نحو أرض القبلة يوم فتح مكة بجيش يقوده الرسول قوامه عشرة آلاف من الصحابة.

ثالثاً- يقول تعالى :«وإذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»[١٩].. وفي إنجيل يوحنا جاء في الاصحاح الرابع عشر ما نصه (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم الى الأبد : روح الحق).. أي يكون خاتم الانبياء.

وفي الانجيل المذكور جاء في الاصحاح الرابع عشر أيضاً ما نصه :(أما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء).. اي يبعث بأكمل الرسالات وهو ما يوضحه قوله تعالى :«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً»[٢٠] «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء»[٢١].

إن نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - لا تخفى على اليهود والنصارى ، يقول تعالى :«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»[٢٢]..

(١٧) الآية ١٢٩ سورة البقرة.
(١٨) رواه احمد.
(١٩) الآية ٦ سورة الصف.
(٢٠) الآية ٣ سورة المائدة.
(٢١) الآية ٨٩ سورة النحل.
(٢٢) الآية ٢٠ سورة الانعام.

ومعرفتهم هذه بالنبي الخاتم دون تصديق واتباع سيحاسبون عليها أشد الحساب يوم القيامة.

## رسول للناس جميعاً

يقول تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين.. فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون.. أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون.. قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»(٢٣) «قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»(٢٤) «قولوا آمنا بالله وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون.. فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.. صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون»(٢٥) «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا»(٢٦) «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»(٢٧).

## حتى قيام الساعة

يقول تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين»(٢٨) «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»(٢٩) «إن الدين عند الله الإسلام»(٣٠) «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»(٣١).

بالإسلام اكتمل منهج التوحيد الالهي وغدا دين الله الأوحد للبشرية كلها منذ بعثة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم والى قيام الساعة.

(٢٣) الآيات ٨١-٨٤ سورة آل عمران. (٢٧) الآية ١٠٧ سورة الانبياء. (٣١) الآية ٨٥ سورة آل عمران.
(٢٤) الآية ٦٤ سورة آل عمران. (٢٨) الآية ٤٠ سورة الاحزاب.
(٢٥) الآيات ١٣٦-١٣٨ سورة البقرة. (٢٩) الآية ٣ سورة المائدة.
(٢٦) الآية ٢٨ سورة سبأ. (٣٠) الآية ١٩ سورة آل عمران.

## تصديق أولي الألباب

من أكثر الناس إيماناً بدين الرسول الأمي..؟

العلماء أولو الألباب..!

قال تعالى لنبيه الكريم أثناء تنزل القرآن :«ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد»[٣٢] «وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم»[٣٣] «إنما يخشى الله من عباده العلماء»[٣٤] «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون»[٣٥] «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون»[٣٦] «أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب»[٣٧].

ما أعظم شهادتك يارب ..! الآن.. بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً على هذه الآيات لجد التاريخ الاسلامي كله شاخصاً بأسطع البراهين على أن العلماء كانوا من أخلص وأقوى وانفع جنود الإسلام ومن أشدهم تفاعلاً معه وأغزرهم حسن عطاء..!

شهادة اعطيت لرجل أمي عاش بين قوم أميين ، ظل الواقع البشري يعضدها وسيبقى كذلك مدى الحياة الدنيا .. إنها شهادة الخالق عز وجل المحيط بكل شيء وليست هي ادعاء من بشر يطلقه بلا ضمان..!

وإنها لبرهان ماثل من تدبير الحكيم الخبير..!

«إنما يتذكر أولو الألباب»..![٣٨].

# معجزات متحققة

## القرآن اعجاز دائم

إنه أحسن الكلام :«الله نزل أحسن الحديث كتاباً»[١].. مضمونه يشهد ، والحكم متروك للعلماء ذوي الخبرة والانصاف..! فهو كتاب محكم :«كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير»[٢].

(٣٢) الآية ٦ سورة سبأ.
(٣٣) الآية ٥٤ سورة الحج.
(٣٤) الآية ٢٨ سورة فاطر.
(٣٥) الآية ٤٩ سورة العنكبوت.
(٣٦) الآية ٤٣ سورة العنكبوت.
(٣٧) الآية ١٩ سورة الرعد.
(٣٨) للتوسع ينظر كتابي (القرآن اعجاز يتعاظم).
(١) الآية ٢٣ سورة الزمر.
(٢) الآية ١ سورة هود.

وإذا الخالق تولى إحكامها فمن يضارعه..!؟ لا أحد إطلاقاً.. وهو يتحدى الخلق جميعاً :«وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله»(٣).. وإذا كان لايسع أحداً الاتيان بسورة فقط فكيف بكله..!؟

«قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»(٤).. ومضى من عمر التحدي أكثر من أربعة عشر قرناً ولا أحد يجرؤ على مس حرف واحد من هذا الكتاب الالهي لا بالتغيير ولا بالزيادة ولا بالنقص، لماذا..؟

لأن منزله تبارك وتعالى تعهدّ فيه متحدياً :

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»(٥).

فالقرآن معجزة كبرى تتزايد عظمتها بمرور الزمن.. وهذا وحده برهان يكفي من رسول أمي :«أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون»(٦).

من أراد أن يؤمن فعلاً ففي هذا الكتاب ما يغنيه..!

ويالها من رحمة ينعم فيها المؤمن..! ويالها من ذكرى تيقظه لاجتناب الشر كله وتحثه على فعل الخير كله فينال كرم الوجود بعطاء إلهي زاخر فياض في الدنيا والآخرة..!

## سياق يراعي العقول في القرون الأولى
## وبالعبارة نفسها يبهر العقول في أيامنا

تضمن كلام الله القرآني حقائق كونية لم يكن العلم البشري قد توصل الى يقينيات بشأنها عند نزوله مثل كروية الأرض ودورانها والبعد السحيق لمواقع النجوم وجري الشمس ووجود أيام أطول من يوم الأرض والتمييز بين النجم والكوكب وكون الجبال أثقالاً تضبط توازن الجرم والنبات أزواج والرياح ملقحة للنبات والعسل شفاء عام وغير ذلك كثير مما جاء العلم في العصر الحديث ببراهينه ليؤكد بشكل قاطع أن ما قاله القرآن منذ مئات الأعوام هو منتهى الدقة وهو كلام من خالق الكون أعلنه في زمن بعيد عن الإكتشافات الهائلة ثم هو إياه تبارك وتعالى فتح على البشر هذه الاكتشافات فأراهم بذلك مبلغ التطابق المدهش بين قول مضى عليه أكثر

(٣) الآية ٢٣ سورة البقرة.
(٤) الآية ٨٨ سورة الاسراء.
(٥) الآية ٩ سورة الحجر.
(٦) الآية ٥١ سورة العنكبوت.

من أربعة عشر قرناً وحقائق كونية كانت قائمة وقت نزول القرآن إلا أن البشر لم يكن لديهم التمكن العلمي للإحساس بوجودها حتى جاء العصر الحديث وراحت الكشوف تتوالى تباعاً بشكل زاخر وضخم هائل..!

أين الملفت للنظر هنا..؟ إن كلام الله ساق العبارة بوضع مناسب يراعي أوضاع العقول لدى نزوله بحيث لاترتج ولا تتخبط حين يحدثها بأمور لا تفهمها بسبب ضآلة الجهد العلمي حولها ولكن بعبارة تنطق بتلك الحقائق الكونية وتراعي وجودها وبنفس الوقت تجعل الناس لدى التنزيل ليس أنهم يتقبلونها فقط وإنما يأخذ كل قرن حصته من فيوضها ، حصته في إشعاع الإيمان ونور العلم وإشراق البصيرة ورسوخ اليقين الى يومنا والعملية تنطق بأن فيوضها القوية تتوالى وباستمرار حتى قيام الساعة كما وعد الله «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»(٧).

إن استخدام عبارة لها ذلك التمكن الرائع المدهش الذي يجتذب راعي الابل ومرتاد الكواكب وما بينهما من مستويات عقلية للبشر وأحوال علمية تختلف كمية ونوعاً بين عصر التنزيل وعصرنا لهو شأن لم نرَ له مثيلاً صدر من مخلوق حتى لو كان أعلم الناس وإنما هو بالقطع اقتدار إلهي يعبر عن عظمة العليم الخبير تبارك وتعالى..!

وأعتقد أن الذي خلق الكون بهذه التفاصيل والروائع لهو شأن يسير عليه بعدئذ أن يصوغ عبارات تأسر الألباب وتبهرها في كل العصور..!

الله تعالى غيب ، أليس كذلك..؟ ولكن تلك اللمسات تجعلنا في عالم كأن الله عز وجل يحدثنا فيه بلا حواجز غيبية لأن القضايا المعروضة تتسم بمنتهى الضخامة والبراهين تمتلك أشد القوة والحقائق المقدمة تظهر وكأنها الشمس تتحدث بسطوعها عن نهار جميل..!

## الله تحدى البشر بأنهم لن يستطيعوا خلق ذي روح

التحدي هنا ليس يقتصر مثلاً على أساطين البلاغة وحدهم أو العلماء في صنف معين ، التحدي موجه هنا لكل البشر على اختلاف إمكاناتهم وفي كل عصر

(٧) الآية ٥٣ سورة فصلت.

أنهم مهما ارتقت قابلياتهم ومهما أتيح لهم من فيوض العلم فلن يستطيعوا خلق شيء بما يضارع فعل الله تعالى ولو أن هذا الشيء كان ذبابة..!

يقول سبحانه :«ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب»[8].

نعم الإنسان يصل الى القمر والكواكب وربما الى المجرات الأخرى ويصنع آلات بمنتهى الدقة والعجب مما يفتح عليه الفتاح العليم ولكنه لن يتاح له العلم والإمكان على خلق شيء فيه روح لأن هذا داخل في اختصاص إله يتصف تفرداً بالخلق..!

والتحدي قائم إلى قيام الساعة.. البعض يزعم أن ما يسمى طفل الأنبوب[9] في عصرنا هو قريب الى عملية الخلق.. لا إن المواد المستعملة في طفل الأنبوب كلها من خلق الله وكلها تخضع لقوانينه هو ، وكل مانراه هو أن الله تعالى فتح على الناس فاستطاع علماؤهم أن يوجدوا طريقة لأن تحمل العاقر.. كل مافي الأمر أنهم استطاعوا معرفة إحدى الطرق لحصول الإنجاب أما العملية بكاملها فهي رهن تقدير الخالق مهما ضخم البسطاء تصوراتهم ومهما اشتط العلماء في تسمية الحقائق..!

فياأيها الزائغون هل أن التحدي انكسر حتى رحتم تجانبون صراط الحق..؟ عندما ينكسر التحدي من حقكم أن تتخذوا لأنفسكم سبلاً ومناهج كما تشاؤون أما أن التحدي قائم بكل الرهبة والهول خصوصاً مع تزايد فيوض العلوم ومكتشفاتها فإنكم لتبدون بذلك التملص صغاراً ضئيلي الشأن حتى لو اكتسب بعضكم أنفس الشهادات العلمية وحصل أوفر الخبرات إنكم تحطمون القيم العلمية التي تملكونها بذلك التصرف الذي لاتفسير له إلا أنكم صغار عقلياتكم هزيلة في مدار الحق..!

---

(٨) الآية ٧٣ سورة الحج.

(٩) طفل الأنبوب هو عملية أخذ نطفة من ذكر وبويضة من أنثى ووضعها في أنبوب مهيأ بظروف مناسبة لكي يتم التلقيح وحالما يمضي وقت كاف لحصول التلقيح يؤخذ الكيان الجديد ويوضع في رحم المرأة التي تعذر أن يتم التلقيح في رحمها أي أنها تعاني العقم أو زوجها هو العقيم ، وبعد انتهاء فترة الحمل تلد المرأة جنينها بشكل طبيعي..!

## الله يتحدى بأن لافرار من الموت

يقول تعالى :«أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة»[١٠].. الإنسان يعيش لأجل معلوم عند الله تعالى ثم يقدر سبحانه باختصاص متفرد متى يموت.. بشر لا يحصيهم العدد عاشوا فوق الأرض منذ ابتداء الخليقة وإلى الآن فهل أن إنساناً استطاع ولو فلتة أن يخرق هذا القانون الالهي ويتابع الحياة إلى أيامنا..؟ لا..والتحدي لما يزل قائماً رغم تزايد العلوم والخبرات ، ويبقى كذلك رغم أن مفاجآت المجهول قد تكون مذهلة للناس ولكنها لن تصل الى حد يقال فيه إن الله قال بأن الجميع يسري عليهم الموت ثم إن فلاناً ظل حياً كالمتمرد على القانون..!

لماذا..؟ لأن الله إذا قال ألجز.. قال كلكم تموتون بعد أجل فلن تشهد الأرض شيئاً يعلو على تلك الحقيقة إطلاقاً..! ومن أراد أن يحاول عليه أن لايتردد ، بل أكثرية الناس يودون لو يتواصل بهم العيش ربما ليس بدافع كسر التحدي ولكن تشبثاً منهم بالحياة وارتهاباً من وقائع العالم الآخر ولكنهم يجدون أنفسهم مقهورين أمام سلطان هذا القدر المحتم ، فالموت واقع لايعيق حصوله كسر التحدي لأنه متعذر ولا يؤخره التشبث بالعيش لأن الآجال قدرها الله وانتهى الأمر قبل أن يطل الإنسان على الدنيا..!

## الإسراء والمعراج

يقول تعالى :«سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»[١١] «وهو بالأفق الاعلى.. ثم دنا فتدلى.. فكان قاب قوسين أو أدنى.. فأوحى الى عبده ما أوحى.. ماكذب الفؤاد ما رأى.. أفتمارونه على ما يرى.. ولقد رآه نزلة أخرى.. عند سدرة المنتهى.. عندها جنة المأوى.. إذ يغشى السدرة ما يغشى.. مازاغ البصر وما طغى.. لقد رأى من آيات ربه الكبرى»[١٢].

الاسراء بالنبي من المسجد الحرام في مكة الى المسجد الأقصى في فلسطين ومنها العروج به الى السماوات العلى حيث سدرة المنتهى والوحي له هناك بأوامر جديدة منها فرائض الصلاة ورؤيته من آيات ربة الكبرى.. كل هذا الحدث لو قسناه بالإمكانات المادية التي نعرفها لما أمكن تحققه خلال اعمار طويلة بسنين لاتعد ولا

(١٠) الآية ٧٨ سورة النساء (١١) الآية ١ سورة الاسراء (١٢) الآيات ٧-١٨ سورة النجم.

تمحصى ، ولكنه تم فعلاً بقدرة الخالق عز وجل الذي يقول للشيء كن فإذا هو كائن مثلما أراد بالضبط ، ولقد تم ذلك كله في جزء يسير من الليل..!

ويتساءل البعض : لماذا تم الأمر كله في جزء يسير من الليل ..؟ فلو أنه تم خلال أيام أو أسابيع يفتقد فيها وجود النبي بين ظهراني قومه وتتوفر في تلك الغيبة شواهد في طريق ذهاب النبي وإيابه أوفر لكان كل امرئ يسمع بالمعجزة لايملك إلا أن يصدق حد اليقين التام..!

رويداً.. المعجزة هي تقدير من الله عز وجل وليست هي جارية وفق مانشاء ونتمنى ، ثم لو أن الشواهد تكاثرت بوفرة بحيث لايملك السامع إلا أن يصدق فأين هو الابتلاء..؟

إن الذي أسرى بنبيه وعرج به إلى السماوات لقادر على سوق الشواهد بكثرة ولكن الحكيم الخبير شاء أن يبتلي الناس بأن جعل المعجزة فيها من الشواهد ما يكفي لأن تنال التصديق وهذا ماحصل لدى قوم جادين في إيمانهم صادقين في التماس الحق لا تهمهم الكثرة في دلائل اليقين وإنما هم يعطون القليل منها استحقاقه في النظر والقبول والاحترام..!

وكثيرون لم تمتلئ قلوبهم بنور اليقين قالوا إن المعجزة تمت بالروح فقط واستبعدوا أن تقع بالجسد ايضاً لأنهم يرون الأمر عندئذ سائغاً ولا يثير إشكالات ، ولكنهم نسوا أنهم بذلك يضعون القيود على قدرة القوي العزيز تبارك وتعالى ، ثم لو أن المعجزة حصلت بالروح فقط فعلام تثار حولها الاحتجاجات لكان الأمر إذن هو رؤيا تحصل لأي إنسان يرى فيها العجائب مما يسوغ ولايسوغ ..!؟ ثم كيف يتأتى لإنسان أسري بروحه فقط أن يخبر عن شواهد حسية رآها في الطريق بين مكة وبيت المقدس أعني القافلة وعدد جمالها ووصف أحدها وهو الأورق الذي يتقدمها وكذلك وصف المسجد الاقصى بدقة كما لو كان موضوعاً بين يدي المتحدث وهو لم يسبق له أصلاً أن زار فلسطين ، أي لم يرَ هذا المسجد المبارك..!؟

إن الأمر تم لرسول الله بالجسد والروح معاً أما مسألة الزمن والمسافة فيجب أن لاتخضعها لقيود العقل البشري لأن قدرة ربنا لاتعرف المستحيل ومن السذاجة أن يطلب المرء دليلاً يتأكد فيه أن الاقتدار الإلهي لايعرف المستحيل لأن الأدلة بلاحصر وهي تملأ كل زاوية في السماوات والأرض ، أما إن قال إنه كليل البصر

فهذا لا يقع ذنباً على الأدلة وإنما العيب في تغطية البصر ومطاوعة الشيطان الرجيم في اللجاجة إزاء الحق..!

شواهد الاستيقان بالمعجزة هي حقاً جد كافية.. كان بمقدور الله عز وجل أن يعرج بنبيه إلى السماوات العلى رأساً دون داع للإسراء الى فلسطين ولكنه أراد بالإسراء وما رافقه من شواهد رؤية الأقصى ووصف معالمه وكذلك الإخبار عن القافلة وأحوالها أن يراعي وضع العقل البشري وانبهاره أمام الخوارق خصوصاً الكبرى فمن تلمس هذه الشواهد الحسية يتهيأ عندئذ لتصديق المعجزة عروج الرسول الى السماء..!

وما أعظم قدر الصلاة إذ هي عدا سائر فرائض الدين يتم الإيحاء بها في السماوات العلى عند سدره المنتهى .. إنها الركن الوحيد الذي يجب أداؤه في كل الحالات سواء المرض أو السفر أو الخوف أو العجز ، بل حتى لو كان المرء على فراش الموت فإنه مطالب بأداء الصلاة بأي وضع أمكنه ولو أداها وهو يومئ بعينيه بينما الأركان الأخرى كالصوم يمكن قضاؤه للمسافر والمريض فيما بعد وفي حالة مرض لايرجى شفاؤه يكون إطعام مسكين ، والزكاة لاتجب إلا على المستطيع الذي فاض عنده المال إلى الحد المقتضي لأداء الزكاة ، والحج أيضاً لايجب إلا على القادر في المالوالصحة..!

إن تارك الصلاة يعتبر كافراً كما ورد في الحديث النبوي (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة)[١٣] أما تارك إحدى الفرائض الأخرى إن لم يكن ذلك عن جحود فهو عاص ولايبلغ به الجرم حد الكفر..!

والملحوظ بكثرة أنك لاترى بين ملازمي أداء الصلاة من يعمد إلى ترك الصوم والزكاة والحج ولكنك ترى بين تاركي الصلاة من يتخلى عن أداء الأركان كلها ، ومن هذا يتضح أن الصلاة كما قال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام :(إن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله)[١٤] فمن أقامها كان أطوع في أداء سائر الفرائض ومن تركها كلها كان أيسر عليه ترك الفرائض الأخرى..!

وهي الفريضة التي يتم أداؤها في اليوم الواحد خمس مرات بل إن الأذان بها والانشغال بأدائها يكونان كل لحظة في كوكب أرضي يدور حول نفسه بينما الصوم والزكاة يؤديان مرة في العام والحج يؤدى مرة في العمر..!

(١٣) رواه احمد ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة. (١٤) رواه الطبراني.

فليس كثيراً بعد أن يختص الإيحاء بها في السماء وأن يرتبط ذلك بأعظم معجزة هي الإسراء والمعراج التي أكرم بها أفضل الخلق طراً خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام..!

وفي الصباح حدث قومه بما حصل ، فكان أمام امتحان..!

هم يعرفون أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يرَ من قبل بيت المقدس فقالوا له: صف لنا المسجد.. فوصف معالم الأقصى بدقة.. ولم يكتفوا ، كأنهم شكوا بأنه قد يكون رآه في سابق عمره دون علمهم.. فقالوا : أخبرنا عن عيرنا القادمة من الشام..!

وهذا شاهد حاسم للأمر كله..!

فأخبرهم صلى الله عليه وسلم بعدد جمالها وأحوالها ، وقال :تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق.. فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية لمراقبة مقدم العير ، فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت.. فقال آخر : وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد..!

ولكن هذا البرهان زادهم عناداً..!

بأي (حجة) لاذوا..؟

قالوا : إنه سحر مبين..!

وارتد ناس كانوا قد آمنوا..!

وسعى نفر الى أبي بكر رضي الله عنه فقال لهم : أوقال ذلك..؟ قالوا : نعم.. قال : فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق..! قالوا: فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع الى مكة قبل أن يصبح..؟ قال : نعم ، أنا أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء..! فسمي الصديق[١٥].

## نبوءة بموت أبي لهب وزوجه على الكفر

قال تعالى :«تبت يدا أبي لهب وتب.. ما أغنى عنه ماله وما كسب.. سيصلى ناراً ذات لهب.. وامرأته حمالة الحطب.. في جيدها حبل من مسد»[١٦].

معنى هذا الكلام أن أبا لهب وزوجه يموتان على الكفر ولن يقدر لهما الإيمان بالإسلام.. متى قيل هذا الكلام..؟

(١٥) تلتمس التفاصيل في كتب السيرة. (١٦) سورة المسد.

في الأعوام الأولى للبعثة وقبل موت أبي لهب وزوجه بسنين..! معلوم أن كفار قريش جميعهم كانوا حريصين على أن يهدموا الدين الجديد عن طريق العقل والحجة والبرهان وأنهم نظراً لإفلاسهم في هذا المجال راحوا يستعملون البطش والقمع والإرهاب.. وبدل حرب طويلة استنزفت كل طاقاتهم وظهروا بوجوه وايدٍ تحمل الخزي والهزيمة لماذا لم ينتهزوا الفرصة باستغلال (قاصمة الظهر) وهي إعلان أبي لهب وزوجه الإيمان بالإسلام وبذلك يضعون (عدوهم) في موقف الإنهيار..؟! هل كان المانع مغالاتهما في معاداة الدين الجديد ورسوله حرصاً على مطامع خاصة..؟ إن كثيراً من الشخصيات المكية التي كانت لاتقل عنهما كراهية للإسلام وعداءً قد أسلمت رغم كل موقفها السابق كخالد بن الوليد وعكرمة وعمرو بن العاص وزعيم قريش أبي سفيان..! إنه التحدي من القوي العزيز حجب عنهما الإيمان حتى بطريقة النفاق.. وبقيت النبوءة تحتفظ بجلالها والى آخر لحظة رغم الاقتدار الملحوظ للمشركين في أن يردوها وبذلك هم يطيحون بالإسلام من أقصر الطرق ، ولكن هيهات مادام رب العزة والجلال قد شاء نبوءة يكرم بها رسوله الصادق الأمين ومادام هو بعظمته جل وعلا المتحدي والقاهر..!

**نبوءة بانتصار الروم**

يقول تعالى :«غلبت الروم.. في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون.. في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون.. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.. وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لايعلمون»(١٧).

كانت فارس ظاهرة على الروم.. وعاطفة مشركي مكة مع ظهور فارس ، ومشاعر المسلمين مع ظهور الروم لأن هؤلاء أهل كتاب وهم أقرب الى دينهم.. فلما نزلت هذه الآيات قال المشركون لأبي بكر : إن صاحبك يقول إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين.. قال : صدق.. قالوا : هل لك أن نقامرك(١٨)..؟ فاتفقوا معه على أربع قلائص الى سبع سنين.. فمضت السبع ولم يكن شيء.. ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين.. فذكر الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :(ما بضع سنين عندكم..؟) قالوا : دون العشر.. قال لأبي بكر :(اذهب فزايدهم

(١٧) الآيات ٢-٦ سورة الروم.

(١٨) أي نراهنك .. قبل تحريم الرهان بوصفه من الميسر.

وازدد سنتين في الأجل).. ففعل الصديق ، وما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك[19].

نبوءة لما يحدث بعد تسع سنين يسطرها الله عز وجل في كتابه الخالد المنزل منهجاً يستمسك به الناس الى آخر يومهم على الأرض أفلا تقع..؟! لو بقي من موعد الرهان دهر لما شك مؤمن صادق ثابت اليقين بأن النبوءة واقعة كما قال الله تعالى بالضبط.. وهذا ما كان يؤمن به الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سألهم عن معنى (بضع سنين) في لغة العرب.. وقد تحققت النبوءة لتبقى شاهداً قوي الحجة للاحقين كما هي للسابقين..!

## انشقاق القمر نصفين

يقول تعالى :«اقتربت الساعة وانشق القمر.. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر»[20] عن أنس رضي الله عنه (أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما)[21] ويقول ابن مسعود رضي الله عنه :(انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اشهدوا)[22].

هم طلبوا آية حتى يؤمنوا فحصلت وفق اشتراطهم فأبوا قائلين إنه السحر ، وراحوا يسألون السفار فأجاب هؤلاء بأنهم رأوا انشقاق القمر حقيقة ..! لمسوا بغيتهم فأعرضوا ، وياله من تصرف مشين..!

و (لقد عثر في الصين على بناء قديم مكتوب فيه أنه بني عام كذا الذي وقع فيه حادث سماوي عظيم هو انشقاق القمر نصفين.. وبالتحري وجد أن تاريخه يوافق سنة انشقاق القمر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)[23].

## ثاني اثنين في الغار

يقول تعالى :«ألا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم»[24].

(١٩) ينظر (في ظلال القرآن) المجلد السادس ص٤٣٧
(٢٠) الآيتان ١ و ٢ سورة القمر.
(٢١) رواه البخاري.
(٢٢) رواه البخاري.
(٢٣) (بينات المعجزة الخالدة) ص٥٨.
(٢٤) الآية ٤٠ سورة التوبة.

اثنان فقط هما الرسول وصاحبه الصديق خرجا من مكة فارين بدينهما للحاق بدار الهجرة موطن الأنصار ولم يكن معهما جيش ولا عدة للإفلات من قبضة قريش الدائبة بأشد الرجال للقضاء على محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد أن اعيتهـا الحيلة ودخل النبي وصاحبه غار جبل ثور قرب مكة فيما القوم يتعقبون أثرهما ، وأمام فتحة الغار انقطع الأثر ، وأوشكوا على الظفر بهما ولكن الله تعالى حال دون هذا المطلب الشرير.. قال الصديق رضي الله عنه : لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا.. فرد عليه رسول الله مطمئناً :(يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما..!؟) وينظر الى صاحبه الصديق وقد بدا الحزن والاضطراب على وجهه فيحاول أن يخفف بعض ما به فيقول أبو بكر : أما والله لست على نفسي حزيناً ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره.. فيسكن روعه الرسول :(لاتخف إن الله معنا)[٢٥].

وهكذا فعل الله تعالى ما أراد ، فأفلت رسول الله والصديق من هلاك كان وشيكاً ، وبلغ الاثنان المدينة سالمين بعد أن ظللهما الكنف الالهي طوال طريق حفت به الأخطار المميتة من كل صوب..!

**معركة بدر**

يقول تعالى :«ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون.. إذ تقول للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين.. بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.. وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.. ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين»[٢٦].

(النصر في بدر كان فيه رائحة المعجزة ، فقد تم بغير أداة من الأدوات المادية المألوفة للنصر.. لم تكن الكفتان فيها - بين المؤمنين والمشركين - متوازنتين ولا قريبتين من التوازن.. كان المشركون حوالي ألف خرجوا نفيراً لاستغاثة أبي سفيان لحماية القافلة التي كانت معه مزودين بالعدة والعتاد والحرص على الأموال والحمية للكرامة ، وكان المسلمون حوالي ثلاثمئة لم يخرجوا لقتال هذه الطائفة ذات الشوكة إنما خرجوا لرحلة هينة ، لمقابلة القافلة العزلاء وأخذ الطريق عليها ،فلم يكن معهم - على قلة العدد - إلا القليل من العدة.. وكان وراءهم في المدينة مشركون لاتزال

(٢٥) متفق عليه. (٢٦) الآيات ١٢٣-١٢٧ سورة آل عمران.

لهم قوتهم ، ومنافقون لهم مكانتهم ، ويهود يتربصون بهم.. وكانوا هم بعد ذلك كله قلة مسلمة في وسط خضم من الكفر والشرك في الجزيرة ،ولم تكن قد زالت عنهم بعد صفة أنهم مهاجرون مطاردون من مكة وأنصار آووا هؤلاء المهاجرين ولكنهم لايزالون نبتة غير مستقرة في هذه البيئة..!)[٢٧].

**حصار الخندق**

يقول تعالى :«ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً.. إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا.. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً.. وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غروراً.. وإذ قالت طائفة منهم : ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون : إن بيوتنا عورة وماهي بعورة إن يريدون إلا فراراً»[٢٨].

مايزيد على عشرة آلاف مقاتل من قريش وأحلافها يطوقون ثلثي المدينة فيما يقف على الثلث المتبقي اليهود من بني قريظة وهم غير مبالين بحفظ عهدهم للرسول.. والمسلمون في ثلاثة آلاف مقاتل فقط وسطهم جمع كبير من أهل النفاق يقول قائلهم : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط..! وجمع منهم يستأذن النبي للرجوع الى دورهم خارج المدينة مدعين أنها مكشوفة أمام العدو..!

يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه متحدثاً عن الأيام الأخيرة من حصار الخندق : صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هوياً من الليل ثم التفت الينا فقال : (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة..؟) فما قام رجل من شدة الخوف والجوع والبرد ، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال :(ياحذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدث شيئاً حتى تأتينا) فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ولا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولابناء ، قام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش لينظر امرؤ من جليسه .. فأخذت الرجل الذي

---

(٢٧) (في ظلال القرآن) المجلد الثاني ص٦٨.
(٢٨) الآيات ٩-١٣ سورة الاحزاب.

كان الى جنبي فقلت : من أنت..؟ قال : فلان ابن فلان..! ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف (يعني الخيل والجمال) وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ماترون فارتحلوا فإني مرتحل[٢٩].

ريح تعصف بمعسكر المشركين وحدهم دون أن يشعر بها المسلمون وهم عنها غير بعيدين..! هي هناك تقلب قدورهم وتطير خيامهم وتقلع أوتادها وتزلزل أفئدتهم بالرعب ، وهي هنا ريح باردة رخاء تنعش ولا تؤذي أحداً..![٣٠].

يوم حنين

يقول تعالى :«لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين.. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين»[٣١].

مواطن عديدة نصر الله تعالى فيها المسلمين وهم قلة على اعداء يشكلون كثرة.. ففي بدر والخندق مثلاً كان النصر لقوة الإيمان رغم عدد أصحابها القليل وتجهزهم المادي البسيط إزاء عدو يفوقهم عدداً بثلاثة اضعاف مع وفرة في السلاح والعتاد والركائب.

أما يوم حنين عندما أقبل المسلمون باثني عشر الف مقاتل لمنازلة هوازن وثقيف وقبائل أخرى تناصرهما فكانت النتيجة في الشطر الأول من المعركة خلاف ما اعتاد المسلمون لأنهم اعتقدوا بأنهم لا محالة منتصرون بكثرة العدد..!

التقى الجانبان بواد بين مكة والطائف يقال له حنين عندما انحدر المسلمون في غلس الصبح الى اسفل الوادي وقد كمنت فيه هوازن فبادرتهم رشقاً بالنبال وضرباً بالسيوف حملة رجل واحد فولى المسلمون الأدبار ولم يثبت إلا الرسول صلى الله عليه وسلم وحوالي مئة من كبار الصحابة..!

فأمر النبي عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته : ياأصحاب الشجرة - يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها ألا يفروا عنه - ياأصحاب سورة البقرة .. فجعلوا يقولون : يالبيك يالبيك.. وانعطف الناس فتراجعوا الى رسول الله فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن

(٢٩) تنظر (السيرة النبوية) لابن هشام المجلد الثاني ص٢٣٢.
(٣٠) ينظر (فقه السيرة) للبوطي ص٢٣٥. (٣١) الآيتان ٢٥ و ٢٦ سورة التوبة.

يصدقوا الحملة..فما لبث المشركون غير قليل ثم انهزموا فأتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون منهم ويأسرون..![32].

عدد قليل مع ايمان بالله تعالى غير مشوب يكون حليفه النصر.. ثم عدد متفوق مع ايمان بالله تعالى مشوب يكون حليفه الانهزام.. وبعد تصحيح الاعتقاد بأن النصر من عند الله تعالى وحده جاء المدد الالهي فتبدلت الهزيمة نصراً..!

قانون راسخ هذا الذي يتعامل معه المسلمون.. اعطِ الله تعالى إيماناً غير مشوب يعطك تحقيق وعده بالنصر ، وبخلاف هذا إن وجد علام الغيوب شائبة تخالط ذلك الإيمان فلا قائمة تقوم وإن توفر التفوق العددي وكل مستلزمات القتال الراجح الكفة..!

## مطالب لاتليق

### قرآن تغير به السنن الكونية

يقول تعالى :«ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً ، أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ، ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد »[1].

يذكر القرطبي أن نفراً من مشركي مكة فيهم أبو جهل وعبدالله بن ابي أمية المخزومبان جلسوا خلف الكعبة ثم أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم ، فقال له عبدالله : إن سرك أن نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن ، فأذهبها عنا حتى تنفسح فإنها أرض ضيقة ، واجعل لنا فيها عيوناً وانهاراً حتى نغرس ونزرع ، فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود سخر له الجبال تسير معه ، وسخر لنا الريح فنركبها الى الشام نقضي عليها ميرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا ، وقد كان سليمان سخرت له الريح كما زعمت فلست بأهون على ربك منه ، وأحي لنا قصياً جدك أو من شئت أنت من موتانا نسأله أحق ما تقوله أنت أم باطل..؟ فإن عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه.. فأنزل تعالى قوله «ولو أن قرآناً سيرت به الجبال.. » الآية[2].

(32) ينظر (تفسير القرآن العظيم) الجزء الثاني ص٢٤٣.

(1) الآية ٣١ سورة الرعد.

(2) ينظر (الجامع لاحكام القرآن) الجزء التاسع ص٣١٨

مطالب حرية بالرفض وقد كان ، فلهجة أصحابها تفصح عن السخرية ولا تقصد الإيمان..! وفي الحق فإن هذا القرآن (صنع في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى ، لقد صنع فيها خوارق أضخم وأبعد آثاراً في اقدار الحياة بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته ، فكم غير الإسلام والمسلمون من وجه الأرض الى جانب ما غيروا من وجه التاريخ..!؟

وإن طبيعة هذا القرآن ذاتها ، طبيعته في دعوته وفي تعبيره ، طبيعته في موضوعه وفي أدائه ، طبيعته في حقيقته وفي تأثيره .. إن طبيعة هذا القرآن لتحتوي على قوة خارقة نافذة ، يحسها كل من له ذوق وبصر وإدراك للكلام واستعداد لإدراك ما يوجه اليه ويوحي به ، والذين تلقوه وتكيفوا به سيروا ماهو أضخم من الجبال وهو تاريخ الأمم والأجيال ، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض وهو جمود الأفكار والتقاليد وأحيوا ما هو أخمد من الموتى وهو الشعوب التي قتل روحها الطغيان والأوهام ، والتحول الذي تم في نفوس العرب وحياتهم فنقلهم تلك النقلة الضخمة دون أسباب ظاهرة إلا فعل هذا الكتاب ومنهجه في النفوس والحياة ، أضخم بكثير من تحول الجبال عن رسوخها وتحول الأرض عن خمودها وتحول الموتى عن الموات..!)[٣].

## يريدونه رسولاً يحقق ما يشتهون

يقول تعالى :«وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً.. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً.. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً.. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه»[٤].

أهذا قول إنسان يريد الإيمان حقيقة وفعلاً..؟! لا والله..! أين عقول هؤلاء وأين تمييزهم إذن..؟! قرآن هو كلام الخالق عز وجل لا يستلفت عقولهم فما الذي غطاها..؟! نعم إنها مغطاة بركام الشهوات والأهواء.. وطلبهم معجزات حسية من هذا القبيل لهو دليل على أنهم لا يفكرون بعقل وإنما يفكرون بما يدخل المعدة التذاذاً..!

وإنهم يريدون الفرجة ..! وأي فرجة..؟ أن يحضر الإله مصحوباً بملائكته فيزكون الرسول أمامهم وينصرونه وأن يعطى هذا الرسول بيتاً من زخرف تتيه في

(٣) (في ظلال القرآن) المجلد الخامس ص٩٦ (٤) الآيات ٩٠-٩٣ سورة الاسراء.

حسنه العيون ، ولا يكفي أن يعرج الى السماء وهم ينظرونه وإنما لابد أن يعود اليهم ومعه كتاب محبر يقرؤونه..!!

أهكذا تعمى العقول ..؟ والى هذا الحد يسخف إنسان..؟ جهنم شيء هائل، عذابها فظيع والخلود فيها أدهى وأمر ولكنها لا تستكثر مادام هناك رواد عظام على شاكلة أولئك التافهين..!

## المنافقــون

**يظهرون خلاف ما يبطنون**

يقول تعالى :«وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون»[1] «وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم إنما نحن مستهزئون»[2] «يخادعون الله والذين آمنوا»[3] «وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا.. مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء»[4] «يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم»[5] «وإذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً»[6] «اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله»[7].. فنفهم :

أولاً- أعمالهم الإفساد وادعاؤهم الاصلاح.

ثانياً- يلقون المؤمنين بوجه ويأتون أعداء المؤمنين بوجه.

ثالثاً- إنهم يخادعون الله بمخادعتهم الذين آمنوا.

رابعاً- لولا مراءاتهم الناس لما صلوا ، إنهم لا يتشوقون الى الله تعالى ولا يذكرونه إلا عند اقتضاء النفاق.. مذبذبين غير ثابتين في صف مستقل.

خامساً- يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف كلما أمكنهم ذلك وإلا فهم يكتمون مشاعرهم متظاهرين بخلاف طويتهم.. ويبخلون بالمال فلا يبذلونه إلا رياء لأنهم قد نسوا ربهم سبحانه فتركهم ينحدرون.

(١) الآية ١١ سورة البقرة. (٤) الآيتان ١٤٢ و ١٤٣ سورة النساء.
(٢) الآية ١٤ سورة البقرة. (٥) الآية ٦٧ سورة التوبة. (٧) الآية ٢ سورة المنافقون.
(٣) الآية ٩ سورة البقرة. (٦) الآية ١٤٠ سورة النساء.

سادساً- يجارون الكفرة في مجالس الاستهزاء بآيات الله.

سابعاً- عندماينفضح أمرهم بكيد دبروه أو بمقالة سوء أشاعوها يلجؤون الى القسم بالأيمان لإبعاد الشبهات عنهم وتمرير أغراضهم الشريرة.

إنها ملامح لاتقتصر على المنافقين في عصر معين وإنما هي سماتهم في كل العصور ، لقد أحصاها خالق النفس البشرية وحذر منها في كتابه لأن هذا الصنف من الناس هدام لاسيما بالنسبة لدين يشيع الفضائل وينقي السرائر.

## فضح تواطئهم مع الأعداء

أولاً- يقول تعالى :«الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم؟ وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين؟ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً»[٨].. إذا انتصر المؤمنون قال لهم المنافقون :«ألم نكن معكم»..؟ إنهم كانوا يخرجون معهم أحياناً ولكن ليس لنصرتهم وإنما لتخذيلهم ونشر البلبلة في صفوفهم..اوإذا انتصر الكافرون قال لهم المنافقون :«ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين»..؟ أي أنهم خذلوا المؤمنين ونشروا البلبلة بينهم..!

ثانياً- يقول تعالى :«ألم ترَ الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون.. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون»[٩]..

الله تعالى العليم الخبير يكشف ماقاله المنافقون ليهود بني النضير ويميط اللثام عن حقيقة الرباط الخفي بين الكفار من أهل الكتاب وطائفة المنافقين إخوانهم ولو أنهم يرتدون لباس الإسلام..!

وليس ذلك فقط وإنما يعلن الله تعالى كذب ذلك التعهد والالتزام القولي «والله يشهد إنهم لكاذبون» كيف..؟ «لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون» لماذا..؟ «لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون.. لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد

(٨) الآية ١٤١ سورة النساء. (٩) الآيتان ١١ و ١٢ سورة الحشر.

تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون»[١٠].

ثالثاً- يقول تعالى :«قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً.. أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً.. يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأتِ الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً»[١١].

سعيهم بالتخذيل بين الصفوف المسلمة ودعوتهم الى القعود عن الجهاد ، هذا المكر مهما استدق وتوارى فهو مكشوف أمام الله تعالى ، بل غدا مفضوح السمات في القرآن الكريم ليطلع عليها المؤمنون في كل الزمان اللاحق ويحذروها..!

## كشف سوئهم المخبأ

أولاً- يقول تعالى :«يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون.. ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون»[١٢].

في الطريق الى غزوة تبوك قال بعض المنافقين لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً..؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين بالحبال.. ارجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال أحدهم وهو مخشي بن حمير والله لوددت أن أُقاضى على أن يضرب كل رجل منا مئة جلدة وأننا ننجو أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمار بن ياسر رضي الله عنه :(ادرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى قلتم كذا وكذا) فانطلق اليهم عمار فقال لهم ذلك ، فأتوا رسول الله يعتذرون اليه[١٣].

ثانياً- يقول تعالى :«يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد

(١٠) الآيتان ١٣ و ١٤ سورة الحشر.
(١١) الآيات ١٨-٢٠ سورة الاحزاب.
(١٢) الآيتان ٦٤ و ٦٥ سورة التوبة.
(١٣) تنظر (السيرة النبوية) لابن هشام ص٥٢٥.

اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله»[١٤].

يقسم المنافقون أنهم لم يشتموا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن الله يؤكد أنهم قد شتموا رسوله فكفروا.. ولقد هم المنافقون بقتل الرسول لكنهم لم ينالوا بغيتهم لأن الله قد تكفل بحفظه ورعايته[١٥].

ثالثاً- يقول تعالى :«إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون»[١٦].

يدلون بشهادة اللسان ليغطوا سوأهم الدفين أما شهادة القلب المستورة بين الجوانح فيعلم الله أنها نقيض ما يظهرون.. (والتعبير من الدقة والاحتياط بصورة تثير الانتباه ، فهو يبادر بتثبيت الرسالة قبل تكذيب مقالة المنافقين.. ولولا هذا التحفظ لأوهم ظاهر العبارة تكذيب المنافقين في موضوع شهادتهم وهو الرسالة ، وليس هذا هو المقصود ، إنما المقصود تكذيب اقرارهم فهم لا يقرون الرسالة حقاً ولا يشهدون بها خالصي الضمير..!)[١٧].

رابعاً- يقول تعالى:«وإذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون»[١٨].

إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الطويلة وإن يقولوا ترى كلامهم حسناً لكنهم كالخشب لا تفقه وليس فيها روح ، ومن علامة حقيقتهم الباطنة أنهم جبناء يحسبون كل نداء ضدهم لأن طويتهم تمتلئ بالسوء ومظاهرهم تتكلف إخفاء ما يضمرون..!

«هم العدو فاحذرهم».. وما أخطر هذا العدو يندس بين الصفوف ويبث سمومه وهو آمن الرد والعقوبة ، إن الحذر منه يأتي قبل الحذر من ذلك العدو المكشوف وراء الحدود ، وهاهو ذا علام الغيوب يطلع نبيه على الخطر المتخفي ليحذر الساعين به..!

(١٤) الآية ٧٤ سورة التوبة.
(١٥) ينظر (تفسير المؤمنين) وتلتمس التفاصيل في روايات للإمام احمد والطبري.
(١٦) الآية ١ سورة المنافقون.
(١٧) (في ظلال القرآن) المجلد الثامن ص١٠٧.
(١٨) الآية ٤ سورة المنافقون.

# أشخاص لهم دلالات

## حـواء

يقول تعالى :«هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها»[1] «وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء»[2].. فنفهم :

أولاً- النفس الواحدة هي آدم عليه السلام.

ثانياً- خلق من آدم زوجه حواء .

ثالثاً- جعل السكن بينهما.

رابعاً- بث منهما الرجال والنساء بالتوالد.

قيل إن آدم بقي وحيداً بعض الوقت ولم يكن معه من يستأنس به ، فألقى الله تعالى عليه النوم ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه اليسرى ووضع مكانه لحماً وخلق حواء منه ، فلما استيقظ وجد امرأة عند رأسه ، فسألها : من أنت..؟ قالت : امرأة.. قال : ولم خلقت..؟ قالت :لتسكن إليّ[3].

## ابنـا آدم

يقول تعالى :«واتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين.. لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين.. إني أريد أن تبوأ باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين.. فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين.. فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين.. من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»[4].. فنفهم :

أولاً- الانسان مطبوع على الخير والشر منذ أوائل الخليقة.

ثانياً- وجود الشحناء والعدوان والنزاع منذ بداية العيش فوق الأرض.

ثالثاً- أخلاق طيبة تقابلها أخلاق سيئة.

رابعاً- لم يترك الله الإنسان يمضي أطول وقت في تعلم الأشياء الضرورية

(١) الآية ١٨٩ سورة الاعراف (٢) الآية ١ سورة النساء (٤) الآيات ٢٧-٣٢ سورة المائدة.

(٣) ينظر (الجامع لاحكام القرآن) الجزء الخامس ص٢ و (مع الانبياء في القران) ص٣٧.

وإنما كان يرشده الى أصح عادات الحياة وبشكل لايخلو من العبرة.

خامساً- وجود تعاليم إلهية يتبعها الانسان.

سادساً- «التقوى» و«التقرب الى الله» و «حرمة النفس» و «استبشاع قتلها» و «الاثم» و «مقت التصرف الفاسد» و «الظلم» و «النفس الأمارة بالسوء» و «الندم» و «الخسران» و «النار» و «الخوف من الله» و «رب العالمين».. هذه المعاني والقيم والافكار والنظرات في إطارها العام تتطابق مع امثالها الواردة في الإسلام مما يدلل على أن شريعة آدم وشريعة محمد عليهما الصلاة والسلام مصدرهما إله واحد لعدم اختلاف جوهرهما رغم طول الزمن الفاصل بينهما.

سابعاً- الطبع الانساني ثابت عريق لم يتبدل وعناصر المنهج الالهي الاساسية ظلت راسخة كذلك ، وهذا شيء كبير جداً يحسن استيعابه باهتمام.

يروى أن الصالح من ابني آدم اسمه هابيل وأخاه الأكبر اسمه قابيل وهو القاتل الشرير.

## امرأتا نوح ولوط

يقول تعالى :«ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين»(٥).. فنفهم :

أولاً- الصلاح يتحقق بفعل ذاتي مختار.

ثانياً- يكون الاعتداد بنسب العقيدة فقط.

ثالثاً- روابط القربى وحدها لا تجدي.

رابعاً- الرسول لا يغني عن زوجته إذا استحقت النار.

## ابن نوح

يقول تعالى :«وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين.. قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين.. وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين.. ونادى نوح ربه فقال ربِ إن ابني

(٥) الآية ١٠ سورة التحريم.

من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين.. قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم إني اعظك أن تكون من الجاهلين.. قال ربي إني أعوذ بك أن اسألك ماليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين»[٦].. فنفهم:

أولاً- أن تتغطى قمم الجبال بماء الطوفان يوحي بأن كل ما على الأرض قد غرق باستثناء سفينة نوح عليه السلام.

ثانياً- إنه انتقام هائل أعقب دعوة هذا الرسول الكريم «فدعا ربه أني مغلوب فانتصر.. ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر.. وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر.. وحملناه على ذات ألواح ودسر.. تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر»[٧].

ثالثاً- انتصر الله لنوح ولكنه عز وجل لم يستثن ابناً لرسوله من هذا العقاب الشديد رغم أنه التمس ذلك بدعاء رقيق «رب إن ابني من أهلي» بل رد عليه بحسم «إنه ليس من أهلك» «إنه عمل غير صالح» «فلا تسألن ماليس لك به علم» «إني أعظك أن تكون من الجاهلين».

رابعاً- على المؤمن عدم الاحتجاج بقربى الدم على حساب العقيدة وأن لايسأل الله تعالى بدون علم تحت ضغط العاطفة مثلاً..!

## آزر والد ابراهيم

يقول تعالى: «واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقاً نبياً.. إذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً.. ياأبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً.. ياأبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً.. ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً.. قال أراغب أنت عن آلهتي ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً.. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً.. واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً.. فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً»[٨] «قد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده

(٦) الآيات ٤٢-٤٧ سورة هود(٧) الآيات ١٠-١٤ سورة القمر(٨) الآيات ٤١-٤٩ سورة مريم

إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير»[٩] «وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم»[١٠].. فنفهم :

أولاً- ابراهيم عليه السلام يخاطب أباه الضال بأسلوب جميل يزينه الأدب والحجج العقلية والتحذير الحاني.

ثانياً- آزر يفعل النقيض فهو لا يقيم وزناً لكل ما أبداه ابراهيم بل يريد منه بلا اقناع أن لا يغادر عبادة الأصنام مهدداً له بالرجم إن رفض الإستجابة..! وهذا شأن أكثر الآباء الضالين مع أبنائهم المهتدين ، فما أحسن أسوة ابراهيم..!

ثالثاً- تبرأ إبراهيم من أبيه لما وجده مصراً على الضلال مؤكداً بذلك أن رباط الدم لا يساوي شيئاً بدون رباط العقيدة ومضى ثابت الخطو في طريقه القويم غير ملتفت الى الوراء.

سـارة

يقول تعالى :«هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين.. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون.. فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين.. فقربه اليهم قال ألا تأكلون.. فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم.. فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم.. قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم»[١١] «وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء اسحق يعقوب.. قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب.. قالوا أتعجبين من أمر الله»[١٢] .. فنفهم :

أولاً- هي امرأة خليل الرحمان ابراهيم عليه السلام.

ثانياً- إنها عجوز وهي قبل هذا عقيم لاتلد.

ثالثاً- زوجها شيخ كبير السن أي خلاف العادة في التماس الولد.

رابعاً- أخذتها الدهشة لأن البشارة كبرى وأوانها يبدو مستحيلاً.

خامساً- ذكرها الملائكة باقتدار الله تعالى وحكمته.

(٩) الآية ٤ سورة الممتحنة. (١١) الآيات ٢٤-٣٠ سورة الذاريات.
(١٠) الآية ١١٤ سورة التوبة. (١٢) الآيات ٧١-٧٣ سورة هود.

سادساً- لعلها تذكرت أن الله عز وجل كان قد جعل النار برداً على ابراهيم عندما ألقي فيها وضرب له مثلاً في إحياء الموتى وغير ذلك ، فأن تلد هي رغم كل الموانع الطبيعية فهذا من قبيل المعجزات التي أكرم الله تعالى بها نبيه ابراهيم.

سابعاً- شعرت بالرضى وانعام الله الجزيل.

## إخوة يوسف

يقول تعالى :«لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ..إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين.. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخلُ لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين.. قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين.. قالوا ياأبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون.. أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون.. قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.. قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون.. فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون.. وجاءوا أباهم عشاء يبكون.. قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.. وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»[١٣].. فنفهم:

أولاً- الصلاح لا يورث من الآباء وكذلك السوء.

ثانياً- انتزاع يوسف عليه السلام وهو غلام صغير من أبويه بكيد من تدبير إخوته يقذف به بعيداً في اغوار المجهول الرهيب يصارع اعتى المخاطر وحده كالتهديد بالقتل وإلقائه أخيراً في البئر وحيداً ينتظر المفاجآت المخيفة لهو امتحان لا يطيقه إنسان بهذه السن لو لم يكن نبياً.

ثالثاً- ولو أطاق انسان منذ صغره كل هذه المحن فلابد أن تنعكس على وضعه النفسي ومجمل سلوكه لاحقاً بشكل غير حسن الملامح أما أن يخرج منها سوي التكوين جيد التصرف وقور السمت فهذا ليدلل

(١٣) الآيات ٧-١٨ سورة يوسف.

بوضوح على أن الله تعالى يعد ذلك الإنسان لأمر عظيم وهو ما حصل بالضبط ليوسف أعني الرسالة والتمكين له في الأرض.

رابعاً- باعداد صعب شديد كهذا صنع الله تعالى رجالاً قال لنا إنهم الأنبياء وصفوة الخلق.. فعلمنا أن المراتب العليا من الفضل والشرف لدى الخالق عز وجل لا ينالها مخلوق بمجرد التمني أو اعتباطاً..!

امرأة العزيز

يقول تعالى :«وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين.. وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون.. ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين.. واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب اليم.. قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قُد من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُد من دُبر فكذبت وهو من الصادقين.. فلما رأى قميصه قُد من دُبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم.. يوسف أعرض عن هذا واستغفري للذنبك إنك كنت من الخاطئين.. وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين.. فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشَ لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم.. قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين.. قال رب السجن أحب اليَّ مما يدعونني اليه وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ اليهن وأكن من الجاهلين.. فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم»[١٤].

رجل يؤتى جمال يوسف المذهل - «فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن»- ويعيش منذ صغره بعيداً عن توجيه الأهل لاسيما أبويه محظياً بالإيواء والكرم في

(١٤) الآيات ٢١-٣٤ سورة يوسف.

بيت مساعد ملك مصر الذي تتهالك امرأته على اغوائه بكل فنونها فيأبى وتهدده فيزداد امتناعاً ثم يخرج من كل هذا البلاء العنيف طاهراً يضرب به الناس المثل لهو رسول من عند الله..! لأن سلوكاً بهذه السمات والأوضاع لا يستطيع صنعه نبي بابنه ولا ملك بولي عهده بل إنه ليستعصي على آباء العالم كله ولا ينفرد به إلا الحكيم الخبير الخلاق العظيم بلوغاً لمقاصد عظيمة كالتي تحققت في حياة يوسف فعلاً..!

**لقمـان**

يقول تعالى :«ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد.. وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»(١٥) «يابني إنها إن تكُ مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله إن الله لطيف خبير.. يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر وآصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور.. ولا تصعر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور.. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير»(١٦).. فنفهم :

أولاً- لقمان امرؤ لم نخبر أين عاش ومتى على وجه الجزم والتحديد ، المهم إنه رجل أوتي الحكمة ، ممن..؟ من الله العليم الحكيم..!

ثانياً- ما أحسن اعتقاد لقمان..! فملامح عقيدته تبدو في هذه الكلمات.. «أن اشكر لله» «ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه» «ومن كفر فإن الله غني حميد» «إن الشرك لظلم عظيم» «يابني إنها إن تكُ مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله» «إن الله لطيف خبير» «إن الله لايحب كل مختال فخور» .. إنها من مفاهيم المنهج الإلهي..!

ثالثاً- إنه يحدد لابنه خصال المؤمن المراد التزامها وهي عموميات في المنهج الإلهي الأوحد :«لاتشرك بالله» «أقم الصلاة» «أمر بالمعروف» «انهَ عن المنكر» «أصبر على ما أصابك» « إن ذلك من عزم الإمور» «ولا تصعّر خدك للناس» «ولا تمشِ في الأرض مرحا» «اقصد في

(١٥) الآيتان ١٢ و ١٣ سورة لقمان. (١٦) الآيات ١٦-١٩ سورة لقمان.

مشيك» «اغضض من صوتك».

رابعاً- إنها بضع جمل تلخص قوانين أسمى رسالة في الحياة..! أليس الرجل حرياً بأن يشيد به خالق الحكمة ورب الحكماء..!؟

## أصحاب الكهف

يقول تعالى :«أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً.. إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً.. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً.. ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً.. نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى.. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوَ من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً.. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيِّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً.. وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً.. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهدِ الله فهو المهتدِ ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.. وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً.. وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً.. إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً ابداً.. وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً.. سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل فلا تمارِ فيهم إلا مراءً ظاهراً ولا تستفتِ فيهم منهم أحداً»[١٧] «ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً.. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع»[١٨].

---

(١٧) الآيات ٩-٢٢ سورة الكهف. (١٨) الآيتان ٢٥ و ٢٦ سورة الكهف.

من هم..؟ إنهم فتية مؤمنون عاشوا بين قوم مشركين وقد امتازوا بقوة الإيمان واستنكار الباطل والفرار بدينهم عندما هددته قوى المحيط الاجتماعي الباغية ففضلوا الإيواء الى كهف ناء فوق الجبال على مجاراة التيار المخالف لدين الله والاستسلام لقوته في تفتيت ايمانهم العتيد.. ياله من مثل..!

وما أعظم ما تضمنته قصتهم من ملامح ربانية في الاعتقاد والسلوك وحسن الأمثولة كلها مما يندرج في إطار المنهج الإلهي العام مثل:

أولاً- دعاؤهم «ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً» ودعوتهم «ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً» واستنكار الشرك «هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة» ورفضهم الإيمان بغير علم «لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن» واستفظاعهم الاعتقاد المنحرف «فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً» وأمام تيار الشرك العارم لايجدون بداً من اعتزال قومهم «وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون» واعتبارهم الكهف على ضيقه أفسح بإيمانهم من البقاء وسط مدينة الشرك الطاغي المجنون ، وما أحسن ثقتهم بالله تعالى «فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً» وما أجود فطنتهم إذ يوصون موفدهم الى سوق المدينة أن يلزم الحذر واللياقة عند شراء الطعام الطيب خوفاً من افتضاح أمرهم ودفعاً للوقوع في الفتنة.

ثانياً- ونجد من معايير المنهج الإلهي الثابتة : المؤمن يزداد هدى من الله ، ومن يهدِ الله فهو المهتدي ، ومن يضلل لن يجد له هادياً .. فمن أخذ بأسباب الهدى ممثلة بآيات الله البينات فقد اهتدى ومن لم يأخذ بهذه الأسباب لامحالة يضل.. إنه قانون أطلقه ربنا في الحياة يعمل بقوة وانضباط وعدل..! من اختار الهدى ناله ومن اختار الضلال ناله ايضاً ولا يحصل العكس اطلاقاً أي أن يختار إنسان الهدى فيضل أو أن يختار الضلال فيهتدي ، إنه ظلم وما يريد ربك ظلماً للعباد..!

ثالثاً- أن ينيم الله تعالى فتية أكثر من ثلاثة قرون ثم يستيقظون وافرين وكأنهم رقدوا بضع ساعات لأمر ليس هو بأعجب من مظاهر أخرى نلمسها في الحياة هي أشد دلالة على اقتدار الله وأبلغ تعبيراً عن عجيب صنعه..!

## ذو القرنين

يقول تعالى :«ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً.. إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً.. فأتبع سبباً.. حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً.. قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً.. وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً.. ثم أتبع سبباً.. حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً.. كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً.. ثم أتبع سبباً.. حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لايكادون يفقهون قولاً.. قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً.. قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً.. آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً.. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً..قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً»[١٩].

يقول ابن اسحق في السيرة : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.. فخرجا حتى أتيا المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.. فقالوا لهما : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول تروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم..؟ فإنهم كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه..؟ وسلوه عن الروح ماهي .. فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره مابدا لكم.. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش ، فقالا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور... فجاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يامحمد أخبرنا... فسألوه عما

(١٩) الآيات ٨٣-٩٨ سورة الكهف.

أمروهم به.. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أخبركم غداً عما سألتم عنه)- ولم يستثن[٢٠]- فانصرفوا عنه.. ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لايحدث الله له في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لايخبرنا بشيء عما سألناه عنه .. وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة.. ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح)[٢١].

ونفهم عن ذي القرنين كما حكى القرآن :

أولاً- إنه رجل اعطاه الله التمكين في الأرض.

ثانياً- ساح في طول الأرض وعرضها «بلغ مطلع الشمس» و «بلغ مغرب الشمس» يصحبه عز السلطان وقوة الصنيع وبهاء العدل وسمة الصلاح.

ثالثاً- في أقواله ملامح تعبر عن إيمانه بكليات المنهج الإلهي مثل :«من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً» «وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً» «ما مكني فيه ربي خير» «هذا رحمة من ربي» «فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء» «وكان وعد ربي حقاً».

## معلم موسى

يقول تعالى :«وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً.. فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً.. فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.. قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً.. قال ذلك ماكنا نبغِ فارتدا على آثارهما قصصاً.. فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً.. قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنِ مما علمت رشداً.. قال انك لن تستطيع معي صبراً.. وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً.. قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا اعصي لك أمراً.. قال فإن

(٢٠) لم يقل : (إن شاء الله) . (٢١) (السيرة النبوية) لابن هشام المجلد الاول ص٣٠٠-٣٠٢

اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.. فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً.. قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً.. قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً.. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً.. قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً.. قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً.. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً.. قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً.. أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً.. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً.. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً.. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تسـطع عليه صبراً»[٢٢].. فنفهم :

أولاً- يحسن الحكم على الأشياء بعد الإحاطة بها.

ثانياً- أن لا يساء الظن بما لم يحط به علماً.

ثالثاً- هناك مظاهر كثيرة لاتعبر عن حقيقة جوهرها.

رابعاً- السؤال والتعلم والإفادة ممن هو أقل شأناً لاتقلل من المرتبة العليا.. فموسى رسول ومن أولي العزم أما معلمه فلم يكن اكثر من رجل صالح.

خامساً- جواز تفادي الخطر الاعظم باحداث تلف أقل ضرراً.

سادساً- طفل صغير يقتل.. لايجوز الظن أنه عبث أو التساؤل باستنكار عن الحكمة وراء ذلك وإنما اللائق بالعاقل الصالح أن يرد هذا الأمر الى خالق الطفل ومدبر شأنه فهو سبحانه «لايسأل عما يفعل»[٢٣].

سابعاً- إذا عومل المؤمن بجفاء ينبغي أن لايتأثر بذلك استمساكه بالمنهج الالهي ومقتضياته حتى لو تطلب الأمر الاحسان للجفاة.

---

(٢٢) الآيات ٦٠-٨٢ سورة الكهف.

(٢٣) الآية ٢٣ سورة الانبياء.

ثامناً- موسى ومعلمه لم يتفاهما في إطار التوراة ولا في إطار شيء اسمه المعقول وغير ذلك وإنما في إطار كليات المنهج الالهي الواحد بشموله الأوسع التي أخذ يتقبلها موسى ، فلكونه رسولاً من عند الله هو إذن عارف بمصدرها.

تاسعاً- العمل بصمت وبلا ضجيج وبلا منة هو سمة المؤمن الموصول القلب بخالقه عز وجل.

ورد في صحيح البخاري نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن العبد الصالح الذي لقيه موسى وتعلم منه يسمى الخضر.

**فرعـون**

يقول تعالى :«ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين.. فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين.. قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولايفلح الساحرون.. قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين.. وقال فرعون أئتوني بكل ساحر عليم.. فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون.. فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لايصلح عمل المفسدين.. ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون.. فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين.. وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين.. فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين.. ونجنا برحمتك من القوم الكافرين.. وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين.. وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.. قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون.. وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لاإله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين.. آلآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين.. فاليوم ننجيك ببدنك لتكون

لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون»[24].. فنفهم :

أولاً- المنهج الإلهي الواحد يلقى تهماً متشابهة من النفس الإنسانية ذات الخصائص الثابتة عندما تنحرف.. فالمجرمون الفراعنة اعتبروا الحق الذي حمله اليهم موسى وهارون سحراً ومجرمو قريش وصفوا القرآن بالسحر أيضاً «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون»[25].

ثانياً- فرعون وقومه اعتزوا بتراث آبائهم الضالين ومشركو العرب واجهوا رسول الله محمداً باعتزاز مماثل «وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أوَلو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون»[26].

ثالثاً- «الله لايصلح عمل المفسدين» إحدى ثوابت المنهج الإلهي الواحد لا تفرق بين قوم مفسدين في أول الخليقة وأمثالهم في آخرها.

رابعاً- تعهد الله بنصر الحق دائماً ولو كره المجرمون.

خامساً- فرعون متكبر في الأرض مسرف وهذه سيماء كارهي الحق المعادين للمنهج الإلهي مهما تباعد الزمان واختلفت البقاع.

سادساً- موسى يعتبر الإيمان بالله إسلاماً ، وهو السمة الكبرى للمنهج الإلهي كله إذ أن الاسلام عنوانه.

سابعاً- قصم الله الطغيان في خاتمة المطاف مهلكاً فرعون حاكم مصر وأشياعه وناصراً موسى وقومه.. وهكذا يمضي الوعد الإلهي ، إمهال للكافرين بلا إهمال وأخذهم في النهاية بعقاب شديد.

## هامان

يقول تعالى :«ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون»[27] «ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين»[28] «وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب»[29] «إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين»[30].

(٢٤) الآيات ٧٥-٩٢ سورة يونس.
(٢٥) الآية ٣٠ سورة الزخرف.
(٢٦) الآية ١٠٤ سورة المائدة.
(٢٧) الآية ٦ سورة القصص.
(٢٨) الآية ٣٩ سورة العنكبوت.
(٢٩) الآية ٣٦ سورة غافر.
(٣٠) الآية ٨ سورة القصص.

من هو هامان..؟

إنه وزير فرعون حاكم مصر أيام موسى ومن أقوى اعوانه.. يشترك مع فرعون بصفة الإستكبار في الأرض ، ويتابع سيده في رفض البينات التي قدمها الرسول كما هي عادة الأذناب إذ هم على دين ملوكهم بلا تفكير ودون إرادة ، وهذا أمر ملموس بكثرة ووضوح في قصور الحكام المبطلين..!

فرعون طلب من وزيره هامان أن يبني له قصراً شامخ القمة ، لماذا..؟ أخبر الشعب بأنه يريد الاطلاع من فوقه على إله موسى ..! إنه حاكم طاغية سفاح يعتقد أن كل ما يقوله يحمل على التصديق لأن احداً لا يجرؤ على تكذيبه وهكذا هم الطغاة..!

ولما نفذ هامان ما أمر به وأنجز البناء (صعد فرعون الى سطح القصر وصوّب سهماً قد غمس بالدم الى السماء فعاد اليه النصل بعد لحظات فقال لمن حوله : لقد قتلت إله موسى..!)[٣١].

وهكذا هي ألاعيب الطغاة وأعوانهم يستخفون بعقول الناس طالما أن الأكثرية ترهبهم والحاشية تنفذ كل ما يطلبون وتحمل المحكومين على التصديق والخضوع وأنوافهم راغمة..؟

بتلك السهولة (قتل) فرعون إله موسى..!

وهكذا (صار) فرعون الاله الأوحد بلا منازع..!

ومن لا يصدق فليرفع صوته بالنكير إن امتلك الجرأة ليرى ما ينتظره من مصير مرعب على يد الجلادين أتباع فرعون الخلصاء أمثال الوزير هامان..!

**امرأة فرعون**

يقول تعالى :«وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين»[٣٢] «وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لايشعرون»[٣٣].

أولاً- زوجة فرعون مؤمنة ، وهي مثل للناس في إيمانها..!

ثانياً- زوجها ملك وهو أسوأ طاغية ولكن هذا الوضع كله لم يمنع ايمانها بالله تعالى العميق النقي الشديد الذي تصوره دعوتها أن ينجيها العلي

(٣١) (مع الانبياء في القرآن) ص٢٢٩. (٣٣) الآية ٩ سورة القصص.
(٣٢) الآية ١١ سورة التحريم.

القدير من شرور زوجها وقومه الظالمين وسوء عملهم وأن يجعل مكافأتها الجنة..!

ثالثاً- والشهادة على صلاحها تتمثل حين أحضر رجال فرعون صندوقاً بداخله رضيع ألقاه اليم على الساحل قرب القصر فما أن أحست أن هذا الطفل سيذبح تنفيذاً للأمر الفرعوني تدخلت ملتمسة من زوجها استثناءه من القتل والسماح باتخاذه ربيباً ففعل..!

رابعاً- حرصت على تخليص الطفل - وهو موسى عليه السلام - من الذبح رغم أن زوجها مهدد بزوال ملكه على يد رجل اسرائيلي ولد في تلك الفترة كما زعم الكهنة.

**قــارون**

يقول تعالى :«إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين.. وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنسَ نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولاتبغِ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين.. قال : إنما أوتيته على علم عندي ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم.. وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون.. فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين.. وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن مَنَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون»[٣٤].. فنفهم :

أولاً- قارون أوتي كثرة في المال فبغى وبطر وفرح بما هو عليه وكأن هذا التمكين دائم والغنى لايزول والإنسان لا يغادر الدنيا..!

ثانياً- نجد قيماً جليلة القدر يدعو اليها المنهج الإلهي برمتهِ في كل نبوة وزمان منها :«وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة» «ولا تنسَ نصيبك من الدنيا» «وأحسن كما أحسن الله اليك» «لا تبغِ الفساد في

(٣٤) الآيات ٧٦-٨٣ سورة القصص.

الأرض» «إن الله لايحب المفسدين» «ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً» «لايلقاها إلا الصابرون» «الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر» «لايفلح الكافرون» «الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الأرض ولا فساداً» «العاقبة للمتقين».

ثالثاً- معطيات الانحراف البشري الناجم عن الثراء الواسع وسوء استخدامه لاتتغير على اختلاف الأزمنة والمجتمعات مثل : مجافاة قيم المنهج الالهي والعدوان والفرح بقوة المال وادعاء حصول الثروة بعلم حائزها وجهده وليس رزقاً من عند الله وتناسي الهلاك الذي أصاب من هو أشد قوة وأكثر جمعاً ، والتبختر في الزينة تكبراً على الناس.

رابعاً- تحقق الوعيد الإلهي بأخذ المنحرفين الطغاة بشكل رهيب «فخسفنا به وبداره الأرض» «فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله» «وما كان من المنتصرين».

خامساً- القرآن يعرض قيم المنهج الالهي العامة التي عمل بها في الأطوار السابقة مادام هو يمثل حالة اكتمال الدين المراد العمل به الى آخر الزمان فوق الأرض..!

## طالوت وجالوت

يقول تعالى :«ألم ترَ الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين.. وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤتَ سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم.. وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين.. فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والـذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

بإذن الله والله مع الصابرين.. ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.. فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين»[٣٥].. فنفهم:

أولاً- أحد أنبياء بني اسرائيل بعد موسى جاءه كبراؤهم طالبين منه أن يسمي لهم ملكاً يقاتلون تحت قيادته «في سبيل الله» فأخبرهم بأن الله اختار طالوت.

ثانياً- لم يكن طالوت من سلالة الملوك ولم يكن صاحب ثروة مما جعلهم يستنكرون اختياره ولكن الله تعالى اختاره هو وزاده اقتداراً في العلم وتميزاً في الجسم فهو سبحانه «يؤتي ملكه من يشاء» لا أحد يقترح عليه وإن «الله واسع عليم» واسع الفضل عليم بمظانه.

ثالثاً- وأخبرهم النبي أن دلالة صدق اختيار الله لطالوت هو تابوت يأتيهم فيه مخلفات مما ترك موسى وهارون عليهما السلام محمولاً من قبل الملائكة فتفيض على قلوبهم السكينة.

رابعاً- إن قول المؤمنين «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» هو من الحقائق العامة في المنهج الإلهي الواحد.

خامساً- صدق الوعد الرباني بانتصار المؤمنين ذوي الصبر والثبات والإخلاص على ظالميهم الكافرين ولو كان العتاة متفوقين بالعدد والسلاح.

سادساً- جالوت رجل فلسطيني عملاق مهيب المنظر مدجج بالسلاح ومعه جنود كثيرون قيل إنه ظل اربعين يوماً يتحدى جيش طالوت بالمنازلة فكانوا يحجمون.. وأخيراً اندفع اليه فتى صغير من وراء الصفوف اسمه داود يحمل بيده مقلاعاً وخمس حجارات ملساً عاجله باحداها على جبهته فخر ساقطاً على الأرض يتلوى فوثب عليه الفتى حيث انتزع منه السيف وقطع رأسه[٣٦].

سابعاً- في معرض نصر المؤمنين واندحار الكافرين ترد إحدى الحكم الكلية في تدبير شؤون الحياة «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض».

(٣٥) الآيات ٢٤٦-٢٥١ سورة البقرة. (٣٦) ينظر (مع الانبياء في القرآن) ص٢٧٧.

ثامناً- كليات المنهج الالهي وأساسيات تدبير الكون وتفاصيل التاريخ البعيد تتمازج وتساق متلألئة بتلخيص أخاذ في بضع آيات يلقيها على الناس رجل أمي عليه أفضل الصلاة والسلام.. أي غيب عظيم هنا..!؟

### عزير

يقول تعالى :«وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ! أنى يؤفكون»(٣٧).. من هو العزير..؟

إنه كاهن يهودي وكاتب توراتي شهير عاش بعد موسى أثناء فترة السبي حيث سكن بابل ومن بعد انتقل الى (أورشليم).. وفي كتب اليهود المدونة سفر يسمى (عزرا) - هو نفسه العزير - وصف فيه بأنه كاتب ماهر وجه قلبه لالتماس شريعة الرب..!

الله تعالى يشير الى عزير في القرآن الكريم دامغاً اليهود بأنهم كفروا بالوحدانية وأصبح شأنهم لايختلف عن الكفرة الوثنين..! فالقرآن وهو حالة اكتمال المنهج الالهي الواحد عندما يتناول أشياء سابقة ومنها موضوع عزير إنما هو يحاكمها وفق أساسيات هذا المنهج التي لاتختلف منذ آدم عليه السلام والى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

ويالها من رصانة! ويالها من حجة! ويالها من إدانة..!

### مريم

يقول تعالى :«إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك مافي بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.. فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم.. فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»(٣٨) «ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون»(٣٩) «وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على

(٣٧) الآية ٣٠ سورة التوبة.
(٣٨) الآيات ٣٥-٣٧ سورة آل عمران.
(٣٩) الآية ٤٤ سورة آل عمران.

نساء العالمين.. يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين.. إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين.. ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين.. قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون»[40] «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً.. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً.. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً.. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً.. قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً.. قال كذلك قال ربك هو عليَّ هَيِّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً»[41] «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين»[42] «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون»[43] «فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً.. فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً.. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً.. وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً.. فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً.. فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فرياً.. ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً.. فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً.. قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً.. وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً.. وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً.. والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً.. ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون.. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه»[44].. فنفهم:

أولاً- القرآن وهو يقص علينا ما حدث في التاريخ البعيد يعرض الحقائق من منظور المنهج الالهي العام غير آبه لما غطى هذه الحقائق من أتربة أهالها الناس عليها بمرور الزمن نتيجة الجهل تارة وسوء الفعل أخرى.

ثانياً- بل إن الله تعالى أراد أن يزيح الركام عن تلك الحقائق لكي ينصفها

(٤٠) الآيات ٤٢-٤٣ و ٤٥-٤٧ سورة آل عمران. (٤٢) الآية ٩١ سورة الانبياء.
(٤١) الآيات ١٦-٢١ سورة مريم. (٤٣) الآية ٥٩ سورة آل عمران.
(٤٤) الآيات ٢٢-٣٥ سورة مريم.

الناس ويحذروا التلاعب بها وحتى يلتزم المؤمنون بعد ذلك الطريقة المثلى عند تعاملهم معها خاصة أن المنهج الالهي قد اكتمل بخاتم الرسالات الاسلام المعمول به الى يوم القيامة.

ثالثاً- وفي هذا الإطار نلتقط في قصة مريم جملة من مفاهيم المنهج الالهي الثابتة منها :(الله هو السميع العليم) و (التوجه بالدعاء يكون له عز وجل) و (العبد الصالح يرضى بمشيئة الرب) و (المؤمن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم) و (الصالحون يلهمهم الله الدعاء المستجاب) و (يخلق الله ما يشاء) و (يقول للشيء كن فإذا هو كائن) و (الله يرزق من يشاء بغير حساب) و (المؤمن ينسب الفضل الى الله تعبيراً عن شكرانه وإرشاداً للآخرين) و (الله يقول الحق).

رابعاً- الله تعالى شاء أن يصطفي مريم لحدث عظيم وهو ولادة إنسان بغير أب لتكون هي وابنها آية للعالمين.. فهو سبحانه قادر على فعل ما يريد ، وهذا الأمر ليس هو بأعجب من خلق آدم الإنسان الأول من تراب وخلق حواء من ضلعه وخلق ذريتهما بالتناسل.. وهكذا تكتمل بولادة عيسى عليه السلام أربع حالات للاقتدار الإلهي على الخلق ، أي خلق آدم بلا أب وأم وخلق حواء من ذكر فقط دون أم وخلق ذريتهما من ذكر وأنثى وخلق السيد المسيح من أم بلا أب..![45].

## أمم سابقة

### قوم نوح

يقول تعالى :«ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون»[1] «قال ياقوم إني لكم نذير مبين.. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون.. يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون»[2]«قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين..قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين.. أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون.. أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون»[3] «فقال الملأ الذين كفروا من قومه

(٤٥) سبق أن تحدثنا عن اصطفاء الله تعالى للسيدة مريم في موضوع (الوحي لبشر صالحين).
(١) الآية ١٤ سورة العنكبوت(٢) الآيات ٢-٤ سورة نوح(٣) الآيات ٦٠-٦٣ سورة الاعراف.

مانراك إلا بشراً مثلنا ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين»[٤] «وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً.. وقد اضلوا كثيراً ولاتزد الظالمين إلا ضلالاً»[٥] «قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتـــم لها كارهون.. وياقوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجريَ إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون.. وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون.. ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذن لمن الظالمين.. قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.. قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين.. ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن انصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون»[٦] «قال ربي إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً.. فلم يزدهم دعائي إلا فراراً.. وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً.. ثم إني دعوتهم جهاراً.. ثم إني اعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً.. فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً.. يرسل السماء عليكم مدراراً.. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً.. مالكم لا ترجعون لله وقاراً.. وقد خلقكم أطواراً.. ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً.. وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً.. والله أنبتكم من الأرض نباتاً.. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً.. والله جعل لكم الأرض بساطاً.. لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً»[٧] «قالوا لئن لم تنتهِ يانوح لتكونن من المرجومين»[٨] «ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا اليَّ ولا تنظرون.. فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين»[٩] «فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر»[١٠] «قال رب إن قومي

---

(٤) الآية ٢٧ سورة هود.
(٥) الآيتان ٢٣ و ٢٤ سورة نوح.
(٦) الآيات ٢٨-٣٤ سورة هود.
(٧) الآيات ٥-٢٠ سورة نوح.
(٨) الآية ١١٦ سورة الشعراء.
(٩) الآيتان ٧١ و ٧٢ سورة يونس.
(١٠) الآية ٩ سورة القمر.

كذبون.. فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين»[11] «وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً.. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً»[12] «وأوحي الى نوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون.. واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون.. ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون.. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.. حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل.. وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم»[13].

ماهي دعوة نوح بخطوطها العامة ..؟

أولاً- الله أعلم بالغيب وبيده الأمر كله.

ثانياً- الإسلام لله.

ثالثاً- عبادة الرب الأحد.

رابعاً- التوكل على الله.

خامساً- تقوى الله وطاعة رسوله.

سادساً- التخويف من عذاب الآخرة.

سابعاً- التذكير بآيات الله.

ثامناً- الوعد بالمغفرة.

تاسعاً- التبشير بالرحمة.

عاشراً- نصح بلا أجرة.

ماذا كانت ردود الكفرة..؟ قالوا لنبيهم إنك بشر مثلنا ولم يتبعك إلا الفقراء الأدنون والضعفاء وإنكم كاذبون وإنا لنراك في ضلال مبين ثم إنك مجنون فأتنا بوعيدك إن كنت صادقاً ، وكلما دعاهم جعلوا أصابعهم في آذانهم وراحوا ينتهرونه بالشتم والضربْ والتهديد بالرجم وهم لا يرجـون لله وقاراً ضائقين بنبيهم ذرعاً.

ومن تأمل ردود مشركي مكة لوجدها تتطابق مع ردود أولئك الكفرة الأوغاد الذين عاشوا قبلهم بآلاف السنين الأمر الذي يدلل بوضوح على أن الإعراض

(11) الأيتان ١١٧و١١٨ سورة الشعراء.
(12) الأيتان ٢٦ و ٢٧ سورة نوح.
(13) الآيات ٣٦-٤١ سورة هود.

البشري عن المنهج الإلهي الواحد يعود بمقولاته المتشابهة الى أن خصائص الإنسان الأساسية لا تتغير بطول الزمان واختلاف المكان.

وهنا تبرز أمامنا بشموخ عظمة هذا المنهج الذي يحيط بالكائن البشري منذ أوائل الخليقة والى آخر مخلوق على الأرض ، أوليس هو منهج الخالق..!؟

فطر الله الإنسان في عيشه يشم الهواء ويشرب الماء ويأكل الثمار وسوى ذلك.. فهل أن هذا المخلوق استغنى عن الهواء مثلاً بمادة أخرى..!؟ إنه لو فعل لمات..! وكذلك هو يموت إذا استغنى عن المنهج الإلهي ، ويآله من موت ..! إنه خسران الوجود في الدنيا والآخرة..!

ولم يتخلف الوعيد الإلهي عن القوم الكافرين..!

**عـــاد**

يقول تعالى :«واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم»[١٤] «قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين.. قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين.. أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين.. أوَعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون»[١٥] «أتبنون بكل ريع آية تعبثون.. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون.. وإذا بطشتم بطشتم جبارين.. فاتقوا الله وأطيعون.. واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون.. أمدكم بأنعام وبنين.. وجنات وعيون»[١٦] «قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.. قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين»[١٧] «قالوا ياهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين..إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون.. من دونه فكيدوني جميعاً ثم لاتنظرون.. إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم.. فإن تولوا فقد أبلغتكم ما

---

(١٤) الآية ٢١ سورة الاحقاف.
(١٥) الآيات ٦٦-٦٩ سورة الاعراف.
(١٦) الآيات ١٢٨-١٣٤ سورة الشعراء.
(١٧) الآيتان ٧٠ و ٧١ سورة الاعراف.

أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربي على كل شيء حفيظ.. ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ»[١٨] «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية.. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية.. فهل ترى لهم من باقية»[١٩].

ماهي دعوة هود بخطوطها العامة ..؟

أولاً- الله رب الخلائق.

ثانياً- الله على كل شيء حفيظ.

ثالثاً- الله على صراط مستقيم.

رابعاً- عبادة الخالق الواحد.

خامساً- التوكل على الله.

سادساً- تقوى الله وطاعة رسوله.

سابعاً- الخوف من عقاب الآخرة.

ثامناً- النصح بأمانة.

تاسعاً- شكر الله المنعم على فضله الواسع.

بماذا أجابوه ..؟ رموا نبيهم بالسفاهة والكذب واستغربوا أن تأتي الرسالة على رجل منهم ، ورفضوا عبادة الله وحده متمسكين بما عبد آباؤهم وقالوا إئتنا بالوعيد الذي تخوفنا به إنك لم تأتنا بآية فلا نترك آلهتنا ولا نؤمن لك ونعتقد أنه قد مسك بعض آلهتنا بسوء..!

ولم يتخلف الوعيد الإلهي عن القوم المجرمين..!

ثمود

يقول تعالى :«والى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه إن ربي قريب مجيب»[٢٠] «كذبت ثمود المرسلين.. إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون.. إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين.. أتتركون في ماههنا آمنين.. في جنات وعيون.. وزروع ونخل طلعها

(١٨) الآيات ٥٣-٥٨ سورة هود. (٢٠) الآية ٦١ سورة هود.

(١٩) الآيات ٦-٨ سورة الحاقة.

هضيم.. وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين.. فاتقوا الله وأطيعون.. ولا تطيعوا أمر المسرفين.. الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.. قالوا إنما أنت من المسحرين.. ما أنت إلا بشر مثلنا فأتِ بآية إن كنت من الصادقين.. قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم.. ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم»(٢١) «إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر.. ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر»(٢٢) «قال ياقوم لمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون.. قالوا أطيرنا بك ومن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون»(٢٣) «قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون.. قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون.. فعقروا الناقة و عتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين»(٢٤) «وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون.. قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون.. ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون.. فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين.. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون»(٢٥) «إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر»(٢٦).

ماهي دعوة صالح بخطوطها العامة ..؟

أولاً- الاعتقاد بأن الله قريب مجيب.

ثانياً- إفراد الإله الأحد بالعبادة .

ثالثاً- تقوى الله وطاعة رسوله.

رابعاً- الاستغفار والتوبة.

خامساً- الابتعاد عن الاسراف والفساد في الأرض.

سادساً- الاصلاح في الأرض.

سابعاً- تذكر آلاء الله وتقديم الشكر له.

ثامناً- الوعد برحمة المؤمنين.

---

(٢١) الآيات ١٤١-١٥٦ سورة الشعراء.
(٢٢) الآيتان ٢٧ و ٢٨ سورة القمر.
(٢٣) الآيتان ٤٦ و ٤٧ سورة النمل.
(٢٤) الآيات ٧٥-٧٧ سورة الاعراف.
(٢٥) الآيات ٤٨-٥٢ سورة النمل.
(٢٦) الآية ٣١ سورة القمر.

تاسعاً- النصح بلا أجرة.

فبماذا واجهوا نبيهم ..؟ إنهم كذبوه وكفروا بأنعم الله وعاثوا في الأرض مفسدين وعقروا الناقة وهي لهم معجزة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا له هات وعيدك إن كنت صادقاً في ادعاء الرسالة.

ولم يتخلف الوعيد الإلهي عن القوم الظالمين..!

قوم ابراهيم

يقول تعالى :«ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين.. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون.. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين.. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين.. قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين.. قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين»[٢٧] «قد كانت لكم إسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير»[٢٨] «ألم ترَ الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين»[٢٩] «وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.. فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون.. قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين.. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم.. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون.. قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم.. قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون.. فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون.. ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .. قال افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم.. أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون.. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين.. قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم.. وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين»[٣٠].

---

(٢٧) الآيات ٥١-٥٦ سورة الانبياء.
(٢٨) الآية ٤ سورة الممتحنة.
(٢٩) الآية ٢٥٨ سورة البقرة.
(٣٠) الآيات ٥٧-٧٠ سورة الانبياء.

ماهي دعوة إبراهيم بخطوطها العامة ..؟

أولاً- التعريف بالله تعالى .

ثانياً- تسخيف عبادة الأصنام في مجتمع وثني.

ثالثاً- فضح تفاهة نحت الحجارة باليد وتقديسها.

رابعاً- التبصير بعقيدة التوحيد الإلهي.

خامساً- اتخاذ العقيدة عن علم ووعي ودليل.

سادساً- التحذير من متابعة الشيطان.

سابعاً- اتباع الرسول يضع الإنسان على الصراط السوي.

ثامناً- التخويف من عذاب الآخرة.

تاسعاً- الوعد بالمغفرة.

عاشراً- التهديد باعتزال الوثنيين إذا لم يهتدوا.

حادي عشر- استعمال القوة في تحطيم الأوثان.

ثاني عشر- استخدام الحجج القوية في أداء الرسالة .

ثالث عشر- التعرض لأشد الإيذاء لأجل الإله الواحد.

فماذا كان ردهم على ابراهيم..؟ قالوا له إننا نتبع ما كان يعبد آباؤنا ونحن لاندري أجئتنا بالحق أم كنت لاعباً ثم ألقوا به وسط النار ليحترق عقاباً له على تحطيم الأوثان فخرج منها بإذن الله سليماً معافى لأن الخالق الذي جعل في النار خاصية الحرق وجعل في الجسم خاصية الاحتراق قادر على تعطيل هذا القانون بعض الوقت لحكمة يريدها عز وجل..! وعندئذ ترك ابراهيم الإقامة في ديار القوم الضالين كما أوعدهم من قبل.

## قوم لوط

يقول تعالى :«كذبت قوم لوط المرسلين.. إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون.. إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعون.. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين.. أتأتون الذكران من العالمين.. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون.. قالوا لئن لم تنتهِ يالوط لتكونن من المخرجين.. قال إني لعملكم من القالين.. ربِ نجني وأهلي مما يعملون»(٣١) «ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين.. أئنكم لتأتون

(٣١) الآيات ١٦٠-١٦٩ سورة الشعراء.

الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين»[٣٢] «ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب.. وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزونِ في ضيفي أليس منكم رجل رشيد.. قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد.. قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد.. قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسرِ بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟.. فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود.. مسومة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد»[٣٣].

ماهي دعوة لوط بخطوطها العامة ..؟

أولاً- تقوى الله وطاعة رسوله.

ثانياً- النصح بلا أجرة.

ثالثاً- عند الله حسن الجزاء.

رابعاً- التحذير من عذاب الله.

خامساً- استنكار الفواحش ومقت متعاطيها.

سادساً- تفظيع اتيان الرجال شهوة دون النساء.

ماذا كان ردهم..؟ قالوا له إن لم تكف عن استنكار سلوكنا نخرجك من ديارنا وإذا كنت صادقاً في وعيدك فجئنا بعذاب الله ، وقد حاولوا ارتكاب الفاحشة مع ضيوف زاروه حسان الوجوه هم الملائكة المرسلون لإهلاك قرية لوط باستثناء هذا النبي ونفر صالحين معه فتوسل اليهم عند باب الدار أن لا يخزوه بفعلتهم الأثيمة مع الضيوف فأبوا ، وعندئذ قام الملائكة اليهم فطمسوا أعينهم وأخبروا مضيفهم بحقيقة ما كلفوا به طالبين منه أن يغادر القرية في الليل.. أما هم فقد نفذوا الوعيد الإلهي بمعاقبة المفسدين..!

## أهل مدين

يقول تعالى :«والى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم

(٣٢) الآيتان ٢٨ و ٢٩ سورة العنكبوت. (٣٣) الآيات ٧٧-٨٣ سورة هود.

محيط.. «وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا في الأرض مفسدين.. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ»[٣٤] «ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين.. وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»[٣٥] «قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء إنك لأنت الحليم الرشيد.. قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً ما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.. وياقوم لايجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد.. واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه إن ربي رحيم ودود»[٣٦] «قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين.. قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين»[٣٧] «قالوا ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز.. قال ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط.. وياقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب.. ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.. كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود»[٣٨].

ماهي دعوة شعيب في مدين بخطوطها العامة ..؟

أولاً- أن يعبد الإله الأحد.

ثانياً- الكيل والميزان بالعدل والإنصاف.

---

(٣٤) الآيات ٨٤-٨٦ سورة هود.
(٣٥) الآيتان ٨٦ و ٨٧ سورة الاعراف.
(٣٦) الآيات ٨٧-٩٠ سورة هود.
(٣٧) الآيتان ٨٨ و ٨٩ سورة الاعراف.
(٣٨) الآيات ٩١-٩٥ سورة هود.

ثالثاً- حسن تقويم أشياء الناس.
رابعاً- تحاشي الإفساد في الأرض.
خامساً- الحلال خير للمؤمن في الدنيا والآخرة.
سادساً- التذكير بنعم الله على هؤلاء القوم.
سابعاً- تحبيب التمسك بمنهج الله القويم.
ثامناً- التخويف من عاقبة الفساد.
تاسعاً- الاصلاح العام في الحياة والمجتمع.
عاشراً- على الله التوكل ومنه التوفيق.
حادي عشر- الحذر من عقاب كالذي أصاب الأسلاف.
ثاني عشر- الاستغفار والتوبة.

فما هو ردهم..؟ الاستخفاف بنبيهم جهالة مفاخرين بما عبد آباؤهم والتصرف بالأموال دون مراعاة للحلال والحرام، وقد هددوه بالاخراج من القرية إن لم يعد في ملتهم مدعين عدم فقه الكثير مما يقوله هذا الرسول الكريم وبأنه ضعيف بينهم لولا احترامهم لعشيرته متناسين حمى الله العزيز الذي اتخذوه وراءهم ظهرياً.

ولم يتخلف الوعيد الإلهي عن القوم الفاسقين..!

## أصحاب الأيكة

بعد أن أهلك الله تعالى أهل مدين ونجا رسوله شعيباً والذين آمنوا معه توجهوا الى بقاع خصبة فيها أشجار كثيرة وماء متدفق يقيم فيها أناس كانوا على طريقة أهل مدين جيرانهم في اقتراف المعاصي.

يقول تعالى: «كذب أصحاب الأيكة المرسلين.. إذ قال لهم شعيب ألا تتقون.. إني لكم رسول أمين.. فاتقوا الله وأطيعون.. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين.. أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين.. وزنوا بالقسطاس المستقيم.. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين.. واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين.. قالوا إنما أنت من المسحرين.. وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين.. فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين.. قال ربي أعلم بما تعملون.. فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم»[٣٩].

(٣٩) الآيات ١٧٦-١٨٩ سورة الشعراء.

فما ملامح دعوة شعيب لأهل الأيكة بخطوطها العامة ..؟

أولاً- خشية الخالق وطاعة الرسول.

ثانياً- وفاء الكيل والوزن بالعدل.

ثالثاً- حسن تقويم أشياء الناس.

رابعاً- النهي عن الإفساد في الأرض.

خامساً- الاتعاظ بما حصل للأولين.

سادساً- عند الله حسن الجزاء.

سابعاً- النصح بلا أجرة.

فبماذا أجابوه..؟ قالوا له إنك شخص مسحور ، ثم إنك بشر مثلنا ، ورموه بالكذب طالبين منه أن يسقط عليهم قطعاً من السماء إن هو كان صادقاً بالفعل.

فلم يتخلف الوعيد الإلهي عن العتاة المكذبين..!

## مملكة سبأ

يقول تعالى :«وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين.. لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين.. فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين.. إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم.. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون.. ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون.. الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم.. قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين.. اذهب بكتابي هذا فألقهِ اليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون.. قالت ياأيها الملأ إني ألقي اليَّ كتاب كريم.. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلو عليَّ وأتوني مسلمين.. قالت ياأيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون.. قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين.. قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون.. وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بمَ يرجع المرسلون.. فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون.. ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون.. قال ياأيها الملأ

أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين.. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين.. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم.. قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون.. فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين.. وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين.. قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين»(٤٠).. فنفهم :

أولاً- سليمان يعرف كلام المخلوقات الأخرى كالطير والجن مثلاً.

ثانياً- وهب الله هذا الرسول ملكاً لا يتسنى لإنسان آخر.

ثالثاً- سبأ مملكة عظمى يمانية حكمتها امرأة.

رابعاً- السبئيون عبدوا الشمس بدل الله.

خامساً- زين لهم الشيطان سوء اعمالهم.

سادساً- أحضر سليمان عرش الملكة قبل قدومها اليه.

سابعاً- أيقنت بنبوة سليمان لمعجزتي الهدهد والعرش.

ثامناً- اعلنت إسلامها لرب العالمين.

## أصحاب الفيل

إنهم أحباش نصارى استولوا على اليمن فبنى أميرهم إبرهة كنيسة في صنعاء أراد أن يجتذب اليها العرب ويصرفهم عن زيارة بيت الله الحرام في مكة.. فقاد جيشاً بعد أن أكمل بناء (القليس) بكل أسباب الفخامة معتزماً هدم الكعبة..!

وبعد أن تسامع العرب بهذا الأمر وصل الأحباش الى مكة مصطحبين فيلة في مقدمتها فيل عظيم ذو شهرة عندهم حتى يمكن إنجاز المهمة بنجاح وبأقصر وقت وبشكل رهيب..!

فلم يستطع أحد الحيلولة دون هؤلاء الغزاة الآثمين ، فماذا حدث..؟ هنا يتجلى التدخل الإلهي واضحاً :

(٤٠) الآيات ٢٠-٤٤ سورة النمل.

أولاً- كان الفيل إذا وجه نحو الكعبة يبرك وكأنه حجر ثقيل - رغم طول التدريب السابق - ولكنه عند توجيهه الى ناحية أخرى كان يجري مسرعاً..!

ثانياً- جاءت مجاميع من الطير تحمل حجارة مطينة تنقض بها على الرجل الحبشي فتجعله كورق الشجر المتفتت فيخر صريعاً في الحال أو يظل يعاني ثم يهلك..!

ثالثاً- كانت هذه الطيور لا تصيب بأذى رجال مكة المتفرجين فوق الجبال المحيطة بفناء الكعبة رغم أنهم كانوا أقرب الى متناولها من الاحباش البعيدين في قعر الوادي..!

يقول تعالى :«ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل .. ألم يجعل كيدهم في تضليل.. وأرسل عليهم طيراً أبابيل.. ترميهم بحجارة من سجيل.. فجعلهم كعصف مأكول»[٤١].. نزلت هذه الآيات وفي مكة شهود عيان لموضوعها ، لأن واقعة الفيل حدثت قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة..!

## بلدان قديمة

### مكـــة

يبتدئ تاريخ مكة الزاهي منذ أن قدم اليها خليل الرحمان ابراهيم مع زوجه هاجر وطفلهما اسماعيل ليسكنهما استجابة لوحي الله في هذا المكان الموحش الخالي من الماء والزرع والسكان.

يقول تعالى :«ربنا إني اسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تأوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون.. ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء»[١].

استجاب ابراهيم لأمر الله ، فما الذي حصل بعد هذا الدعاء..؟ بعد أيام من رحيله تاركاً زوجه وطفلهما وحيدين في ذلك الوادي نبع ماء زمزم فاجتذب الطير اليه ، وكان قوم من قبيلة جرهم يسيرون قريباً من هذا المكان فما أن رأوا الطير تحوم حوله علموا أن تحليقها فوق ماء ، فاستغربوا ذلك لأنهم لم يعهدوا في هذا الوادي شيئاً يبل الظمأ من قبل ، ولكنهم عندما استطلعوه وجدوا الماء حقيقة ،

---

(٤١) سورة الفيل.     (١) الآيتان ٣٧ و ٣٨ سورة ابراهيم.

فأعربوا للسيدة هاجر عن رغبتهم في الإستيطان بجوارها فرحبت بهم ولما شب اسماعيل تزوج امرأة منهم وتعلم العربية[٢].

ومما نلمسه بعد مضي أكثر من خمسة وثلاثين قرناً على دعاء ابراهيم :

أولاً- إن مكة لم تغدُ مصلى فقط وإنما صار المؤمنون بالمنهج الإلهي المكتمل يتوجهون اليها في صلاتهم خمس مرات في اليوم حيث كانوا في بقاع العالم..!

ثانياً- إن أفئدة الناس لاتهفو الى تلك البقعة فقط وإنما يسعى المتمكن منهم في رأس العام الى إقامة الركن الخامس من المنهج الإلهي بحج البيت الذي ابتناه ابراهيم وقد يزوره المؤمن معتمراً أكثر من مرة في عمره..!

ثالثاً- إن مكة تجبى اليها الثمرات والأطعمة من أنحاء كثيرة.. ولقد لمست خلال مكث فيها استغرق حوالي عام وفرة واجتماع ورخص ثمار الشتاء والصيف على مدار السنة.. هذا رغم أن واديها لمايزل غير ذي زرع ويسكنه أناس كثيرون..!

ولم ينقطع ابراهيم عن زيارة هاجر واسماعيل وإنما كان يقدم اليهما كلما استطاع.. وفي مرة لبث طويلاً ثم زار مكة لأمر جلل ، فقد أوحي اليه بناء الكعبة لتكون أول بيت يقام لعبادة رب العالمين.

يقول تعالى :«جعل الله الكعبة البيت الحرام»[٣] «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين.. فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً»[٤] «وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم»[٥].

آيات بينات.. اللهم نعم :

أولاً- «مقام ابراهيم» أي الحجر الذي كان يقف عليه أثناء البناء فهو لما يزل موجوداً في فناء المسجد الحرام قريباً من الكعبة ..!

ثانياً- «من دخله كان آمناً» إن مكة آمن بلد في العالم وقد احتفظت بهذا التميز لزمن يزيد على الثلاثة آلاف عام..!

ثالثاً- «ولله على الناس حج البيت» بهذه الكلمات القليلة العدد يعظم الناس هذا

(٢) ينظر (مع الانبياء في القرآن) ص١٢٤.
(٣) الآية ٩٧ سورة المائدة.
(٤) الآيتان ٩٦،٩٧ سورة آل عمران.
(٥) الآية ١٢٧ سورة البقرة.

البيت ويؤدي المؤمنون بالمنهج الإلهي فريضة الحج الى الآن وحتى يوم القيامة دون قوة سلطان تحملهم على ذلك أو بريق أموال يجتذبهم اليه وإنما طاعة لرب العالمين ابتغاء حسن الصنيع عنده فحسب..!

ويقول تعالى :«وإذ جعلنا البيت مثابة للناس»[٦].. ويحمل لفظ «مثابة» معنى القصد والمزار مع الرجوع اليه[٧] فكون البيت مثابة للناس أمر معروف ورجوع الكثيرين اليه حنيناً أمر شائع أما المؤمن الذي لم يزره فيتمنى أن يظفر بذلك في يوم ما قبل أن يغادر الحياة..!

**بابـل**

يقول تعالى :«واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون»[٨].

(يبدو أن هناك قصة معروفة عنهما - أي الملكين - وكان اليهود أو الشياطين يدعون أنهما كانا يعرفان السحر ويعلمانه الناس ويزعمان أن هذا السحر أنزل عليهما..! فنفى القرآن فرية تنزيل السحر على الملكين.

ثم يبين الحقيقة وهي إن هذين الملكين كانا هناك فتنة وابتلاء للناس لحكمة مغيبة وأنهما كانا يحذران كل من يجيء اليهما طالباً أن يعلماه السحر :«وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر».. وقد كان بعض البابليين يصر على تعلم السحر منهما على الرغم من تحذيره وتبصيره ، وعندئذ تحق الفتنة على بعض المفتونين :«فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه» وهو الأذى والشر الذي حذرهم منه الملكان ، وهنا يبادر القرآن فيقرر كلية التصور الإسلامي الأساسية وهي أنه لا يقع شيء في هذا الوجود إلا بإذن الله :«وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله»..)[٩].. فنفهم :

---

(٦) الآية ١٢٥ سورة البقرة.

(٧) ينظر (مع الانبياء في القرآن) ص١٢٨.

(٨) الآية ١٠٢ سورة البقرة.

(٩) (في ظلال القرآن) المجلد الأول ص١٢٧ بتصرف قليل.

أولاً- كان السحر شائعاً في مدينة بابل.
ثانياً- فتن أهلها بتعلمــه استخداماً له في الشر.
ثالثاً- أرسل الله ملكين لتحذير الناس وتبصيرهم.
رابعاً- تيار الضلال والشر كان هو الغالب في بابل.

وهناك ملامح أخرى عن بابل نجدها في قصة ابراهيم الواردة في القرآن : «ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين.. إذ قال لأبيه وقومه : ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون .. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين.. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين»[١٠].

المصادر العربية تنص على أن مولد ابراهيم كان في بابل[١١] والتاريخ يثبت إنه في الزمن الذي عاش فيه ابراهيم في العراق كانت حضارة بابل هي السائدة[١٢].

يقول ول ديورانت :(كان لأهل بابل كثير من الآلهة.. ذلك أن كل مدينة كان لها رب يحميها ، وقد كان للمقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدها وتخلص لها وإن كانت تخضع رسمياً للإله الأعظم ثم قل عدد الآلهة شيئاً فشيئاً بعد أن فسرت الآلهة الصغرى بأنها صور أو صفات للآلهة الكبرى وعلى هذا النحو أصبح مردخ إله بابل كبير الآلهة البابلية»[١٣].

ونفهم اخيراً :

أولاً- كانت بابل قديماً حاضرة كبرى ولكنها محكومة بالقيم الفاسدة كالسحر وعبادة التماثيل وتعاطي الشر والأذى والانصراف عن اتباع الخير والإحسان.
ثانياً- حضارتها تقوم على غلبة الأقوياء بأي وسيلة كانت.
ثالثاً- عاش فيها ابراهيم عليه السلام راشداً وقد دعى الى الله الأحد فلم يجد استجابة فترك قومه الضالين.
رابعاً- اضمحلال كيان بابل منذ زمن سحيق لأنه مؤسس وقائم على مناهج باطلة رغم أنه كان ذا قوى مادية استطاع بها أن يبسط سلطانه على أوسع رقعة من العالم آنذاك.

---

(١٠) الآيات ٥١-٥٤ سورة الانبياء.
(١١) ي[illegible]ثلاً تاريخ الطبري الجزء الأول.
(١٢) ينظر (مع الانبياء في القرآن) ص١٠٧.
(١٣) (قصة الحضارة) الجزء الثاني ص٢١١.

مصـــر

يقول تعالى :«ونادي فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون»[١٤] «وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين »[١٥] «وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث.. فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين»[١٦].. فنفهم :

أولاً- مصر ذات عطاء زراعي مرموق منذ زمن قديم.

ثانياً- أقام فيها الرسول يوسف عليه السلام منذ كان غلاماً وقد أوتي فيها التمكين في الأرض بعد أن ارتقى سدة الحكم .

ثالثاً-دخلها الرسول يعقوب عليه السلام وعاش فيها شطراً من أواخر عمره.

رابعاً- كانت لها مملكة فاخر فرعون بإمكاناتها بغرور.

خامساً- ولد فيها موسى وهارون عليهما السلام وأوتيا الرسالة حيث نهضا بتبليغ الحق الإلهي لفرعون ورعاياه فلم يؤمن فحطما مملكته وخلصا من ظلمه شعبهما.

سادساً- عاش فيها الإسرائيليون أذلاء خانعين مغضوباً عليهم من الله عقاباً على كفرهم حتى إذا آمنوا برسالة موسى وهارون أنقذهم الله من ذلك البلاء.

---

(١٤) الآية ٥١ سورة الزخرف.

(١٥) الآية ٨٧ سورة يونس.

(١٦) الآيتان ٢١ ، ٩٩ سورة يوسف.

## غيب مستور
## الأسرار الخمسة

### علم الساعة

الساعة هي موعد انتهاء الحياة الدنيا ، وقد استبقى الله تعالى لديه العلم بحلولها ، فإن زعم أحد أنه عليم بموعدها بشكل معين فإنه كذاب قطعاً ولو احتج بأقوى البراهين ، فلا قول أرجح من كلام الله دليلاً..!

يقول تعالى :«يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو»(١) «يسألونك عن الساعة أيان مرساها.. فيم أنت من ذكراها.. الى ربك منتهاها»(٢) «يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله»(٣) «إن الله عنده علم الساعة»(٤).

وإخفاء هذا الموعد العظيم عن الناس يتجلى فيه التدبير الالهي الحكيم ، فحياتنا دار خداع وغرور وزوال وموت يعيش فيها الانسان فيتصرف كمن هو خالد فيها فلوح فوق رأسه شبح الموت القادم لا محالة عله يرعوي وينظر الى دنياه كما هي حياة يعقبها الممات ، وإنه يعمر الأرض فيظن أنها دائمة وقد يتمنى أن لا يهلك فيطمئن أخيرا الى أن الكوكب برمته ينتظر انقضاء أجله الموعود أيضا..!

ومثلما أن الموت مجهول الموعد حتى لا يضل الانسان طوال عمره باستثناء أواخره كذلك الساعة تبقى مجهولة الموعد حتى لا تضل البشرية طوال عمرها وتستثني أواخره بالصلاح.

### إنزال الغيث

الله تعالى هو وحده منزل الغيث.. إنه يتعلق بأرزاق الناس جميعا ويتعلق بحاجة الحيوانات والزروع وكل متطلبات البيئة في كوكبنا..!

أمر يحتاج الى علم شمولي كامل يمتد الى الباطن مثلما يحيط بالظاهر ويحتاج الى اقتدار مطلق يصل الى جوف الصخرة الصماء في أعماق البحر ويطال أعلى طائر في صفحة السماء بل وأقصى ذرة في الفضاء ، ويحتاج الى عدل لا يملكه إلا الخالق ويحتاج الى غنى وحلم وأناة وكرم ورشاد بشكل ينفرد به رب العالمين وحده..!

---

(١) الآية ١٨٧ سورة الاعراف.
(٢) الآيات ٤٢-٤٤ سورة النازعات.
(٣) الآية ٦٣ سورة الاحزاب.
(٤) الآية ٣٤ سورة لقمان.

يقول تعالى : «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث»[٥] «وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد»[٦].

سمعنا بتجارب إنزال المطر المصطنع هذه الأيام في مناطق شحيحة ، وهذا أمر ربما يلتبس على البعض فيظن أنه خلاف ما قاله منزل الغيث سبحانه وتعالى ، فنقول :

أولاً- إن الله هو الذي علم الإنسان مالم يعلم وبقدرته العظمى وحدها يتم تفاعل العناصر وتحقيق الشيء المراد.

ثانياً- إن كل شيء مخلوق بقدر دقيق محكم.. وإن إنزال المطر بشكله المصطنع في بعض المناطق أمر داخل ضمن التقدير الإلهي وتحكمه وإلا فإنه كان لايخلو من أضرار شديدة تنعكس على البيئة في تلك المواضع على الأقل فينتشر منها الخراب.

ثالثاً- إذا قدر للانسان إسقاط المطر المصطنع في كل أطراف الأرض في ضوء حاجة البشر والحيوانات المشاهدة والزروع المنظورة فكيف يمكنه تقدير حاجات الأحياء البعيدة عن الأنظار وتلك المطمورة تحت الثرى وسواها التي لاترى بالعين المجردة وهي تملأ البيئة..!؟

رابعاً- ومن ذا الذي يستطيع سوى الخالق علام الغيوب معرفة المقدار اللازم من ماء المطر ووقته المناسب في كل بقاع الأرض اليابسة والبحار لكي تتم وتتواصل عمليات التفاعل الكيمياوي بين العناصر والأشياء الهائلة التي لاتعد ولا تحصى..!!

خامساً- وما أجمل أن ينزل المطر بلا سابق علم وتدبير من بشر فيكون مغيثاً لذوي الحاجات الكبرى الأحياء والجماد ورحمة تتلمسها المواضع الملهوفة..!

سادساً- لقد انصرم من عمر الأرض دهر طويل والغيث ينزل بتقدير مغيب عنا فمضى كل شيء قدماً نحو أجمل حالات الازدهار.. فحتى لو تحقق شيء مماثل عن الطريق المصطنع - وهو افتراض لمستحيل - يبقى التدبير المخفي لمقدار الغيث وموعده أروع وأهيب وأقدر من ذلك المشاهد المعلوم المقدار والموعد..!

---

(٥) الآية ٣٤ سورة لقمان.

(٦) الآية ٢٨ سورة الشورى.

سابعاً- ومن عمي عن كل آثار الله عز وجل في هذا الوجود فليتأمل اسقاط المطر المصطنع وليتساءل : أيمكن إغاثة الأرض كلها بالمطر اللازم المناسب لكل بقعة آلاف السنين فتزدهر الحياة لولا خالق قادر عادل رحيم قد تولى ذلك وأنجزه..!؟

## علم ما في الأرحام

يقول تعالى :«إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام»[7].

وإخفاء حقيقة مافي كل الأرحام لهو من التدبير الإلهي العظيم..افماذا كان سيقع لو علم كل إمرئ ما تحمل زوجته ، أو لو علمت كل امرأة ما في بطنها..!؟ لاشك أن الحياة بعلم الإنسان الشامل هذا كانت ستختل منذ القديم اذ يحرص الكثيرون على الأبناء الذكور ويتمنى بعضهم الإناث فقط ويريد قسم ثالث عدداً من الذكور والإناث وفق مشيئته هو دون النظر الى ضرورة التوازن في الجنس البشري وضرورة التوازن العام في الحياة وضرورة التوازن الشامل المترابط على الأرض وضرورة التوازن المطلق المعلوم والمجهول في الوجود كله..!

إن معرفة الناس لما في جميع البطون في آن واحد ومنذ اللحظة الأولى للحمل وابتداءً من أوائل البشر من شأنه لو حصل أن يتسبب في اختلال التوازن العددي لبني آدم ، إذ يكون ذريعة للاجهاض العام حين يتدخل الانسان بإدارته والتأثير عليه بالتصرف الفاسد..!

اكتشف ماشاء الله لك أيها الانسان ، غير أن القدرة العليا تظل هي المتحكمة وحدها في التصريف الكوني المتمثل بإيجاد الآدميين وتدبيره بعيداً عن أفق الناس المحدود مهما يتسع..!

يقول تعالى :«ونقر في الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً»[8] «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء»[9] «والله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وماتزداد»[10].. مشيئة اختص بها الخالق سبحانه بكل الاقتدار، يعلم ما تحمل كل أنثى في هذا الوجود بوقت واحد وقبل أن تخلق الإناث..! فياله من علم..! وإنه ليعلم أحوال الجنين في كل لحظة فيدبر احتياجاته على أفضل

(٧) الآية ٣٤ سورة لقمان.
(٨) الآية ٥ سورة الحج.
(٩) الآية ٦ سورة آل عمران.
(١٠) الآية ٨ سورة الرعد.

وجه ، وهذا شأنه مع كل مخلوق..!

وفي الحق إن عبارة «يعلم مافي الأرحام» لاتقتصر على صنف الجنين ذكراً أو أنثى بل هذا بنطاقه الواسع الشامل التفصيلي هو بعض العلم ، لأن هناك أيضاً اختصاص الله تعالى بعلم التدبير المطلوب ومستلزماته وعلم حال الجنين مستقبلاً أهو شقي أم سعيد وما سيخط على صفحة الدنيا من أعمال والعلم بساعة الخروج من الرحم وساعة الرحيل الى العالم الآخر.. إن العلم بذلك وغيره محصور برب العالمين تبارك وتعالى أما بعض العلم عندما يتاح لأناس في هذا المجال فهو يتم بتخويل وإرادة من العليم الخبير ويجب على هؤلاء أن لا يتبجحوا بامتلاك العلم متناسين الرب المنعم الذي خولهم إياه لاسيما أنه يقول «علم الانسان مالم يعلم»[11]«وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»[12].

ثم لو علم الإنسان شيئاً من اختصاص الخالق في إيجاد الجنين وتدبيره فما هو فاعل بهذا العلم..؟ أيتحكم بإيجاد الجنين بشكل محتم فلا يموت..؟! أيتحكم بنوعه على نطاق واسع شامل تفصيلي..؟! أيستطيع أن يدبر شؤونه بدل الخالق بما في ذلك عمليات التفاعل المعقدة جداً ويوفر جميع مستلزمات الخلق بما في ذلك المواد الحية..؟! إنه علم مقرون بتدبير لا يحتملهما إنسان لأنه مخلوق ولايمتلك صفات الخالق الفعال لما يريد..! فلا إله إلا الله العلي العظيم.

## ماذا تكسب غداً ؟

العلم بالكسب غداً أمر يختص به الخالق وحده..!

فأي إنسان يستطيع أن يجزم بمعرفة مايكسب غداً وهو لايضمن عيشه بضع لحظات لاحقة..؟! بل إنه لايدري كم نسمة هواء بقيت من حظه في الدنيا أهي واحدة أم ملايين..؟! إذا ادعى مكابر مثل هذا العلم فإن شبح الموت المخيم على الانسان والمهدد لحياته في كل لحظة يقول له : كذبت..!

إنه علم لايتأتى للانسان في الواقع المعروف المعاش.. وامتناع هذا العلم عليه أمر ضروري لحياته التي صممها الله تعالى لتكون ساحة امتحان إذ أنه في حال معرفته بما يحدث له غداً قد يتقاعس عن السعي والبذل والأخذ بالأسباب التي تعتبر من ألزم القوانين في طبيعة دنيانا..!

(١١) الآية ٥ سورة العلق.

(١٢) الآية ٨٥ سورة الاسراء.

وكيف يمكن اختبار نوايا الانسان لتمييز صلاحها من عدمه إذا قدر له الاطلاع على ما يكسب غداً قبل أن يداهمه..!؟ معرفة ما يأتي غداً من خير وشر ونفع وضر وصحة ومرض وسوى ذلك أمر لاينسجم مع طبيعة الانسان ولا مع طبيعة الأرض ولا مع أهداف الحياة..!

يقول تعالى: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً»[١٣] «قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء»[١٤].

أن يستكثر أي امرئ من الخير كما يحلو له ويتحاشى كل سوء آت يعني عتواً في الأرض وفساداً ، وأن يمسك الانسان بجزء من دفة المقادير الحياتية يسيرها كيف يشاء وحيث يريد يعني تصادم الإرادات الانسانية التي لاتعد ولا تحصى مع بعضها ومن بعد تعارضها مع إرادة الخالق الذي شاء أن تجري الحياة بلوغاً لأهداف يبتغيها هو جل وعلا..!

## بأي أرض تموت ؟

يقول تعالى: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت»[١٥].

لو درت نفس بموعد ومكان موتها لتعطلت قوانين كثيرة وجدت لتعمل في حياة الانسان والمجتمع ولفقدت معايير الهداية والضلال أهميتها ولانحسر تطبيق منهج الحق الالهي أطول فترة من الوقت محصوراً بأضيق رقعة ولشاع الفساد في الأرض على أوسع نطاق فتتعذر الحياة بحدودها المعروفة..!

تذهب الآمال بالمرء كل مذهب توهماً منه وغروراً..! فيحل قدره الكامن خلف ستار الغيب السميك مفاجئاً..! إنها لرحمة من الخالق أن يجهل عباده موعد ومكان انتقالهم من هذه الدار الفانية الى دار البقاء.

إن الآية ترسم للمخلوق حدوداً على قدر احتياج حياته تظللها آفاق مطلقة للخالق بلا حدود..! (وإن النفس البشرية لتقف أمام هذه الأستار عاجزة خاشعة تدرك بالمواجهة حقيقة علمها المحدود وعجزها الواضح ويتساقط عنها غرور العلم والمعرفة للدعاة.. وتعرف أمام ستر الغيب المسدل أن الناس لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً ، وأن وراء الستر الكثير مما لم يعلمه الناس ، ولو علموا كل شيء آخر

(١٣) الآية ٣٤ سورة لقمان.
(١٤) الآية ١٨٨ سورة الاعراف.
(١٥) الآية ٣٤ سورة لقمان.

فسيظلون واقفين أمام ذلك الستر لا يدركون ماذا يكون غداً..! بل ماذا يكون اللحظة التالية ، وعندئذ تطامن النفس البشرية من كبريائها وتخشع لله.

رقعة فسيحة في الزمان والمكان وفي الحاضر الواقع والمستقبل المنظور والغيب السحيق.. وفي خواطر النفس ووثبات الخيال : مابين الساعة البعيدة المدى والغيث البعيد المصدر وما في الأرحام الخافي عن العيان والكسب في الغد وهو قريب في الزمان ومغيب في المجهول وموضع الموت والدفن وهو مبعد في الظنون.

إنهارقعة فسيحة الآماد والأرجاء ، ولكن اللمسات التصويرية العريضة بعد أن تتناولها من أقطارها تدق في أطرافها وتجمع هذه الاطراف كلها عند نقطة الغيب المجهول ، وتقف بها جميعاً أمام كوة صغيرة مغلقة لو انفتح منها سم الخياط لاستوى القريب خلفها بالبعيد ، ولكنها تظل مغلقة في وجه الانسان لأنها فوق مقدوره ووراء علمه ، تبقى خالصة لله لايعلمها غيره إلا بإذن منه وإلا بمقدار «إن الله عليم خبير»(١٦) وليس غيره بالعليم ولا بالخبير..!)(١٧).

## القيامـة

### حقيقة أم خيال ؟

خلق السماوات والأرض وما بينهما هل هو حقيقة..؟ لاشك أنه ليس بخيال..! وإنما هو كون ملموس قائم على الحق والعدل والاقتدار مطلقاً ، ولو وجدت أدنى ذرة من باطل وضعف واضطراب في هذا الخلق العظيم لما استمر قطعاً طوال زمن مديد ولكان مصيره الاضمحلال منذ وقت بعيد..!

ومثلما أن خلق السماوات والأرض حق فإن مجيء الساعة حق يقيني كذلك..! من قرر هذا الأمر..؟ إنه الخالق تبارك وتعالى إذ يقول :«وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية»(١).

إنه غيب..! نعم ، فمن يملك الحديث عنه سوى خالق هذا الكون ومدبره..؟ يقول تعالى :«ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير»(٢).

يا الله ..! أقرب من لمح البصر..؟ نعم ..! أليس هو على كل شيء

---

(١٦) الآية ٣٤ سورة لقمان. (١) الآية ٨٥ سورة الحجر. (٢) الآية ٧٧ سورة النحل.

(١٧) (في ظلال القرآن) المجلد السادس ص٥٠٠ بتصرف قليل ، وينظر (التصوير الفني في القرآن) فصل : التناسق الفني.

قدير..!؟ إنه وعد من الله مالك الاقتدار كله .. فهل ثمة شك بمجيء هذا الحدث الهائل..؟ يقول تعالى :«أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها»[٣].

وإذا أخفي عنا موعد الساعة فهل يعني حلولها بعد أجل مديد..؟ كلا..! يقول تعالى :«وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً»[٤].. ولا يعني هذا أن أياماً قليلة بقيت على حلولها ولكن المراد إبقاؤها عالقة في الذهن متوقعة الحدوث في كل لحظة «هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون»[٥].

ولقد لقي الرسول صلى الله عليه وسلم إلحاحاً من االمستريبين حول موعد الساعة وكأن هذا الشأن إذا لم ينص عليه ليس هو بآتٍ فجاءهم الرد من صاحب الأمر سبحانه وتعالى:«ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟.. قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين»[٦].

إنه شأن إلهي خاص لادخل للانسان فيه وما الرسول الكريم إلا نذير مبين.. فمن شاء الوقوف عند حدوده مصدقاً بخبر الوحي فقد أحسن التصرف ومن أراد أن يتجاوز حدوده بلا مبرر معقول فاستراب بما أخبر به وكذب فقد أساء ، ولكل تبعة ما اختار..!

«الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب.. يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد»[٧].

## كيف تأتي ؟

إنها آتية إذن لا محالة.. فهل من شيء وارد عن كيفية المجيء..؟ نعم.. هناك ملامح في القرآن تلقي ضوءاً على هذا الجانب مادام هو تأكيداً للمجيء وليس بياناً للموعد..!

يقول تعالى :«لا تأتيكم إلا بغتة»[٨].. إنها حدث مفاجئ..! أي بغتة..؟ «وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب»[٩].. إنها خاطفة فوق التصور البشري..! فهل لها مقدمات..؟ نعم.. «فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها»[١٠].

---

(٣) [redacted] ٢١ سورة الكهف. (٦) الآيتان ٢٥ و ٢٦ سورة الملك. (٩) الآية ٧٧ سورة النحل.
(٤) الآية ٦٣ سورة الاحزاب.(٧) الآيتان ١٧ و ١٨ سورة الشورى.(١٠) الآية ١٨ سورة محمد.
(٥) الآية ٦٦ سورة الزخرف.(٨) الآية ١٨٧ سورة الاعراف.

## أشراط الساعة

هناك جملة علامات إذا وقع أي منها يعني أن البقية تترى ومن ثم يرتقب مجيء الحدث الخاطف العظيم أي قيام الساعة..! ولكن لاينبغي أن يذهب بك الظن الى أنك في فسحة ومتسع لأن أولى العلامات وأضخمها قد حلت فعلاً وهي أمامنا شاخصة.

ماهي ..؟ إنها بعثة خاتم الأنبياء..! (بعثت أنا والساعة كهاتين) هكذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مشيراً بإصبعيه السبابة والوسطى[١١].

فما بقية العلامات..؟ لقد تولى الإخبار عنها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم«وما ينطق عن الهوى..إن هو إلا وحي يوحى»[١٢].. فالى التفاصيل :

أولاً- سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن أمارات الساعة فقال :(أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)[١٣].

أي أن تؤول الرئاسات الاجتماعية الى أناس قليلي التربية جهال فلا يقام وزن لخلق قويم ومعارف غزيرة وإنما الوزن آنذاك لوفرة المال وقوة الساعد فقط ، وفي العصر الحالي لجد أن شيئاً من هذا قد حصل فعلاً وهو مفضوح رغم الادعاءات التي تغطيه وتبرر أمام البسطاء (حاجة) اللجوء اليه..!

ثانياً- قال صلى الله عليه وسلم :(إذا اتخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمة وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد في القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع)[١٤].

ثالثاً- قال صلى الله عليه وسلم :(إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قيل :كيف إضاعتها يارسول الله..؟ قال (إذا أسند الأمر الى غير أهله)[١٥].

رابعاً- قال صلى الله عليه وسلم :(لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة[١٦] وحتى يبعث[١٧] دجالون

---

(١١) رواه البخاري.
(١٢) الآيتان ٣ و ٤ سورة النجم.
(١٣) رواه البخاري ومسلم.
(١٤) رواه الترمذي.
(١٥) رواه البخاري.
(١٦) يذهب البعض الى ان هذا قد تحقق باقتتال فئة الامام علي وفئة معاوية.
(١٧) يظهر.

كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله[١٨] وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا إرب لي به وحتى يتطاول الناس في البنيان[١٩] وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ياليتني مكانه[٢٠] ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعان ولا يطويان ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه[٢١] ولتقومن الساعة وهو يليط[٢٢] حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلتهً الى فيه فلا يطعمها[٢٣]..)[٢٤].

خامساً- يأجوج ومأجوج.. يقول تعالى :«حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون.. واقترب الوعد الحق...»[٢٥].. ليس هناك من خبر يقيني عن يأجوج ومأجوج أكثر مما جاء في الآية ٩٤ سورة الكهف لدى الحديث عن ذي القرنين والآية ٩٦ سورة الأنبياء وما رواه الإمام أحمد عن زينب بنت جحش زوج النبي عليه افضل الصلاة والسلام قالت : استيقظ الرسول صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر الوجه وهو يقول :(ويل للعرب من شر قد اقترب.. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا) وحلق بالسبابة والإبهام.. قلت يارسول الله : أنهلك وفينا الصالحون..؟ قال :(نعم إذا كثر الخبيث).

(النص القرآني لا يحدد زمناً معيناً لخروج يأجوج ومأجوج فاقتراب الوعد

---

(١٨) كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي وغيرهما عقب وفاة الرسول وكمؤسس القاديانية ورؤساء البهائية واليشع محمد مضل كثرة من الزنوج الامريكيين في العصر الحديث.

(١٩) في مدينة نيويورك الامريكية حالياً ابنية تسمى ناطحة السحاب.

(٢٠) بالشدة الفتن..! يتمنى مكان صاحب القبر ليس لأنه رجل صالح قد نال الكرامة في حسن الجزاء وإنما لأن المقبور قد نجا من حياة كلها فتن..! وبالهول الامر عندما يتمنى الموت انسان شرير - لأن الرسول يقول كما يروي البخاري :(من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء) - غير مبال بعاقبة المصير الأخروي ..!

(٢١) لقحة هي الناقة ذات اللبن.. يعني أن الساعة حين تقوم تستغرق وقتاً جد ضئيل بحيث لايجد حامل اللبن مجالاً لتناوله.

(٢٢) يصلح.

(٢٣) إنها صعقة بأخطف وأسرع ماتكون .

(٢٤) رواه البخاري.

(٢٥) الآيتان ٩٦ و ٩٧ سورة الانبياء.

الحق بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء في القرآن :«اقتربت الساعة وانشق القمر» والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين أو القرون يراها البشر طويلة مديدة وهي عند الله ومضة قصيرة.. فاقتراب الوعد الحق ربما يكون قد وقع بانسياح التتار وتدفقهم شرقاً وغرباً وتحطيم الممالك والعروش وتدمير الخلافة العباسية ، وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم.. وعلم ذلك عند الله وكل ما نقوله ترجيح لايقين)[٢٦].

سادساً- ظهور المهدي آخر الزمان.. تفيد روايات كثيرة[٢٧] أن اسمه محمد بن عبدالله أو أحمد بن عبدالله وأنه من ولد فاطمة رضي الله عنها وأنه يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم في الكثير من خصاله وإن كان لايشبهه في الخليقة إذ أنه أجلى الجبهة أقنى الأنف.. فيملأ الأرض عدلاً بعد أن تمتلئ بالظلم وتعلو في ظله كلمة الاسلام ويكثر الرخاء من وفرة العدل ، وإنه يمكث على هذه الحال سبع سنين.

سابعاً- خروج الدجال الأكبر.. عن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم استنصت الناس يوم حجة الوداع فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر الدجال فأطنب في ذكره وقال :(مابعث الله من نبي إلا أنذره أمته ، وإنه يخرج فيكم ، فما خفي عليكم من شأنه ، فلا يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور ، وإنه اعور العين اليمنى كأن عينه طافية)[٢٨].

واستخلاصاً من السنة تفيد المراجع الموثوقة أن الدجال من عباقرة اليهود يدعي الألوهية ويطوف في البلدان محاولاً فتنة الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات وما يظهر على يديه من عجائب فيفتن به تابعو كل ناعق ويثبت الله الذين آمنوا فلا يخدعون بأضاليله ثم ينكشف أمره ويقضى على فتنته ويقتل بأيدي المسلمين وقائدهم آنذاك عيسى بن مريم عليه السلام[٢٩].

(٢٦) (في ظلال القرآن) المجلد الخامس ص٤١٤ و ٥٦٤ بتصرف قليل.
(٢٧) لمسلم وابي داود والترمذي والحاكم .   (٢٩) ينظر (العقائد الاسلامية) ص٢٥٣.
(٢٨) رواه البخاري ومسلم.

ثامناً- رجوع عيسى .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب[٣٠] ويقتل الخنزير ويضع الجزية[٣١] ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً»[٣٢].

تذهب كثرة من أهل التفسير الى أن الآية تشير الى إيمان أهل الكتاب بعيسى عليه السلام عند نزوله من السماء قبيل الساعة.. ومن هنا نفهم لماذا خص عيسى الرسول بالرجوع الى الحياة الدنيا وليس غيره من الأنبياء (لأن الخرافة التي تعلقت بشخصه ملأت الأرجاء وقامت باسمها دول قوية فليكذب الرجل نفسه بما أشاع الخلق عن ألوهيته وهو ليس إلا عبداً لله.. ولما كانت الحياة وحدة متماسكة فنزوله في آخر الزمن كاف في الدلالة على هذا المعنى ، وإن جاء عقب ضلال طويل..!!)[٣٣].

تاسعاً- شروق الشمس من مغربها.. قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)[٣٤].

وهذا التمهيد له أكبر الدلالات على الانقلاب الكوني الهائل ممثلاً بقيام الساعة لأن تغير طلوع الشمس يعني إيذاناً بحدث فلكي عظيم يدمر النظام السائد في الأرض والفضاء الخارجي..!

إنها اشارة البدء على صعيد الكواكب والأجرام ..!

عاشراً- خروج الدابة .. يقول تعالى :«وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون»[٣٥].. (إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك وإنما يقضى عليهم بما هم عليه.. عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم ،

(٣٠) مكذباً زعم النصارى بانه قتل وصلب.
(٣١) لايقبل من اهل الكتاب إلا الإسلام.
(٣٢) الآية ١٥٩ سورة النساء..رواه البخاري ومسلم.
(٣٣) (عقيدة المسلم) ص٢٨٢.
(٣٤) رواه البخاري ومسلم.
(٣٥) الآية ٨٢ سورة النمل.

والدواب لا تتكلم أو لايفهم عنها الناس ، ولكنهم اليوم يفهمون ويعلمون أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة ، وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود)[٣٦].

لماذا تخرج دابة تكلم أناساً لاتقبل منهم توبة وهم من شرار الخلق وعلى وشك الوقوف في ساعة الحساب الأخروي الشديد..؟ (عندي أن هذه العلامة نوع من العتاب والتقريع لبني آدم الذين جهلوا ربهم وجحدوا حقه مع ماآتاهم من عقل وفكر ، فلا بأس أن تخرج سلالة من البغال أو الحمير لتضرب بحوافرها جباه الساسة والقادة وتقول لهم : أمالكم رأي يصلكم بالله رب العالمين..؟ أين الذكاء والفهم..؟ كيف تلحدون..؟)[٣٧].

**وقائع الساعة**

يقول تعالى واصفاً حجم الساعة : «ثقلت في السموات والأرض»[٣٨].. كيف..؟ «إن زلزلة الساعة شيْء عظيم»[٣٩].. فما تفاصيل هذا الحدث الهائل الرهيب..؟

يفهم من مجمل الآيات القرآنية التي تصف وقائع الساعة أن تدميراً أعنف مايكون سيصيب الكون المادي المحسوس فيتركه هباء.. ولأن الخطاب موجه للإنسان فقط جرى الاهتمام بعرض أبرز ما يشاهده هذا المخلوق من معالم الوجود الضخمة قياساً الى حجمه وهي :

أولاً- مصدرالحرارة والضوء الشمس والقمر:يقول تعالى :«إذا الشمس كورت»[٤٠] «فإذا برق البصر.. وخسف القمر.. وجمع الشمس والقمر»[٤١].. البصر يندهش فزعاً ، وخير له لو ينطمس تماماً آنذاك هو والسمع حتى لايرى الإنسان المذعور ولا يحس بما يجري من حدث كوني فظيع..! الشمس كتلة من نار حجمها بقدر الأرض مليون مرة وهي تبعد حالياً عن القمر حوالي ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال تخمد فجأة وتتقارب مع تابع الأرض الصغير حتى يجتمعا..! أي مشهد هذا وسط الظلام والذعر..؟! إن مشهد زلزال بسيط أو بركان أو إعصار يجعلنا نهتز هلعاً فكيف بذلك المشهد

---

(٣٦) (في ظلال القرآن) المجلد السادس ص٣٠٨.
(٣٧) (عقيدة المسلم) ص٢٨٢.
(٣٨) الآية ١٨٧ سورة الاعراف.
(٣٩) الآية ١ سورة الحج.
(٤٠) الآية ١ سورة التكوير.
(٤١) الآيات ٧-٩ سورة القيامة

الضخم فوق التصور المؤذن بنهاية الدنيا..!؟

ثانياً- السماء بما تحتويه من نجوم وكواكب وأجرام .. يقول تعالى :«وفتحت السماء فكانت أبواباً»[٤٢] «وانشقت السماء فهي يومئذ واهية»[٤٣] «إذا السماء انفطرت.. وإذا الكواكب انتثرت»[٤٤]«وإذا النجوم انكدرت»[٤٥]«يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب»[٤٦] «يوم تأتي السماء بدخان مبين»[٤٧] «يوم تمور السماء مورا»[٤٨] «يوم تكون السماء كالمهل»[٤٩].

السماء تتشقق وتتفطر..! وتطوى كصفحة الكتاب..! تمتلئ بالدخان لأنها مضطربة تدور كالرحى وشبيهة بالمعدن المذاب..! كواكبها متبددة ونجومها متهاوية حيث لاجاذبية ولانظام ولاعمل باستثناء كون الوضع التدميري الماثل مقصوداً بالضبط ومسيطراً على كل مايجري فيه..!

ثالثاً- الأرض بكل ما عليها من مظاهر لاسيما الكبرى مثل البحار والجبال.. يقول تعالى :«إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها»[٥٠] «وإذا البحار فجرت»[٥١] «وإذا البحار سجرت»[٥٢] «وسيرت الجبال فكانت سراباً»[٥٣] «وتكون الجبال كالعهن المنفوش»[٥٤] «وإذا الأرض مدت.. وألقت ما فيها وتخلت»[٥٥] «إذا دكت الأرض دكاً دكاً»[٥٦].. هذا الزلزال ليس كالتي تحدث هنا وهناك منذ القديم ، إنه زلزال يضرب الأرض كلها ومن تأثيره الشديد أن تخرج كل ما بباطنها من أشياء ثقيلة وما أكثرها..!

أيها الانسان إنك تقف الآن أمام البحر والجبل وإذ ترى الأمواج المتلاطمة وامتداد الأفق وارتفاع القمة وبدائع التكوين تشعر بشيء من الرهبة وإكبار الخلق العجيب الضخم فلك أن تتصور كيف أن البحار كلها تتفجر طاغية بمياهها الملتهبة بالنيران وكيف أن الجبال تتفتت وتضمحل وتصير كالصوف المصبوغ بألوان مختلفة المتطاير في جو الزلزلة الكبرى وسط الدخان الكثيف والظلام الدامس والانفجارات الهائلة واختلاط الماء بالنار في سيول عارمة..!

---

(٤٢) الآية ١٩ سورة النبأ. (٤٧) الآية ١٠ سورة الدخان. (٥١) الآية ٣ سورة الانفطار.
(٤٣) الآية ١٦ سورة الحاقة. (٤٨) الآية ٩ سورة الطور. (٥٢) الآية ٦ سورة التكوير.
(٤٤) الآيتان ١ و ٢ سورة الانفطار. (٥٣) الآية ٢٠ سورة النبأ.
(٤٥) الآية ٢ سورة التكوير. (٤٩) الآية ٨ سورة المعارج. (٥٤) الآية ٥ سورة القارعة.
(٤٦) الآية ١٠٤ سورة الانبياء(٥٠) الآيتان ١ و ٢ سورة الزلزلة.
(٥٥) الآيتان ٣ و ٤ سورة الإنشقاق (٥٦) الآية ٢١ سورة الفجر

وتمتد الأرض منبسطة فلا تكوير ولا أعماق..! فما الذي فعله الزلزال الأعظم..؟ لقد دك الأرض دكاً..!

رابعاً- الانسان ابتداء من القبور وانتهاء بمن بقي حياً من البشر بمن فيهم الأم ورضيعها.. يقول تعالى :«وإذا القبور بعثرت»(٥٧) «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث»(٥٨) «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»(٥٩).. عندما تلقي الأرض ما تحتويه فإن القبور هي أقرب شيء الى سطحها فتنقذف خارجاً متبعثرة ، والناس متفرقون في كل ناحية كأنهم فراش يتساقط في النيران المنتشرة في كل مكان ، إنه حدث مذهل فعلاً أقصى مايكون الذهول عندما تترك الأم رضيعها وتهتم بنفسها فقط وعندما يسقط جنين الحبلى قبل أوانه من هول الأصوات والمشاهد والفزع ، والمجرمون عموماً كأنهم سكارى بدون خمر بتذكرهم أوان عذاب الله الشديد، فإذا كان قيام الساعة بهذا الرعب والمعاناة فكيف بعقاب جهنم..؟!

خامساً- الآن لك أن تمزج المشاهد كلها لترى المشهد العام.. الشمس والقمر منطفئتان والأجرام كلها متناثرة قد تعطل عملها والسماء تمتلئ بالدخان كأنها معادن مذابة والأرض قد صارت كورقة الكتاب بعد أن تحطمت وتبدد كل ما احتوته والانسان مذهول وسط أكبر كارثة تخطر على البال والمجرم يعاني رعباً هو مقدمة للعقاب الآتي جهنم وبئس المصير..!

سادساً- مجيء الساعة لايستغرق أكثر من لحظة.. ولكن أي لحظة هي واللحظات التي تتبعها..؟! لو وزعت على عمر الأرض والبشر لجعلت الحياة عذاباً لايطاق.. لنلتمس لهذا الأمر مثلاً حتى لايستهين البعض بتلك اللحظة وما يأتي بعدها من أهوال قيام الساعة ، لو أن أحداً خير بين وضعه في السجن مع الأشغال الشاقة ثلاثين عاماً وعقوبة الاعدام التي يفارق الحياة فيها خلال بضع ثوانٍ فأيهما يختار..؟ لاشك أن يفضل السجن الطويل بعذابه لأن ما يلاقيه أثناء الثلاثين عاماً يكاد لا يساوي شيئاً بالقياس مع القتل ، ولو أن هذا العقاب لايستغرق اكثر من بضع ثوانٍ..! إنه مجرد مثل ، فالأمر فوق ذلك بلا حصر..!

---

(٥٧) الآية ٤ سورة الانفطار. (٥٨) الآية ٤ سورة القارعة. (٥٩) الآية ٢ سورة الحج.

# الــروح

## من مظاهر الروح

أولاً- الروح محدثة : يقول تعالى :«وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»[1].

وقال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم :(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اللـه تعالى الملك فينفخ فيه الروح..)[2].. أي أنها ليست أزلية.

ثانياً- الروح من الله وبها نعيش : يقول تعالى :«ثم سواه ونفخ فيه من روحه»[3].. بروح من ربه صار الانسان حياً يسمع ويبصر ويدرك ويمارس أفعال الحياة.

ثالثاً- تمكث الروح وتغادر بارادة ربها : يقول تعالى :«وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً... كل نفس ذائقة الموت»[4].. إن الروح تمكث في الجسد الى أمد معين تغادره بعدئذ حسب مشيئة الخالق سبحانه.

رابعاً- بقاء الروح : يقول تعالى :«كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون»[5].. إذا فارقت الروح الجسد مات الإنسان ، فما معنى ذلك ..؟ إن روحه تظل كائنة ولا تتعرض للبلى كما يحصل للجسد ، وإن كل ما يتم بالموت هو أن ينتقل الإنسان بروحه دون جسده من عالم المادة المشهود الى عالم الغيب اليقيني ، فالرجوع يكون الى الخالق ليكافئ أو يعاقب الإنسان على عمله الدنيوي.

## حقيقة الروح

ما حقيقة الروح..؟ يقول تعالى :«ويسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربي»[6].. إنها سر مغلق استأثر الخالق عز وجل بمكنونه ، ومادمت أيها الإنسان مخلوقاً فالزم حدك.. أم تريد أن تعرف كل شيء ..؟

(١) الآية ١٧٢ سورة الاعراف.
(٢) رواه مسلم.
(٣) الآية ٩ سورة السجدة.
(٤) الآيتان ١٤٥ و ١٨٥ سورة آل عمران.
(٥) الآية ٥٧ سورة العنكبوت.
(٦) الآية ٨٥ سورة الاسراء.

لاتظن أنك قادر ، لأنك محدود ، هكذا شاء خالقك ..! فحذار أن تقفز خارج الحدود لأنك لن تظفر بما تريده من المستحيل وإنما تقع في هاوية الهلاك..!

المؤمن يلزم الأدب الجميل والطاعة القصوى نحو ربه جل وعلا ، بخلاف الكافر مسيء الأدب وملتزم العصيان وكأنه في الوجود كل شيء وهو في الحقيقة ما صار شيئاً ونال كرامة إلا بمشيئة من الله تعالى وفضل..!

**العودة**

يقول تعالى :«كما بدأكم تعودون»[7].. إذا غادرت الروح الجسد تبدأ مسيرة أخرى إنها رحلة يعود فيها الإنسان الى ربه بإذن منه تعالى واقتدار .. فمن خلق وأوجد وأنعم وتفضل وأحيا وأمات لقادر على أن يبعث خلقه من جديد ليفصل بينهم كما وعد.

**مرحلة القهر**

وتسمى البرزخ ، إنها بين موت الإنسان وبعثه.. يقول تعالى :«حتى إذا جاء أحدهم الموت قال : رب ارجعون.. لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا! إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون»[8] «النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب»[9] «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون.. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[10].

ويقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم :(إن احدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة)[11].

**تزكية الروح**

لم يكن وجودنا في الأرض دون هدف أو اعتباطاً بل إن كل شيء قد رسم بدقة وتهيأت له كل الأسباب.. فما أن يطل الإنسان على دنياه يبدأ شوط الامتحان

---

(٧) الآية ٢٩ سورة الاعراف.
(٨) الآيتان ٩٩ و ١٠٠ سورة المؤمنون.
(٩) الآية ٤٦ سورة غافر.
(١٠) الآيتان ١٦٩ و ١٧٠ سورة آل عمران.
(١١) رواه البخاري ومسلم.

ابتلاء من الله تعالى «لننظر كيف تعملون»[12] ومن بعد ليعطى كل امرئ استحقاقه يوم الحساب في المصير الأبدي.

يقول تعالى :«قد أفلح من زكاها»[13].. وما أحسن التزكية..! إنها تطرد الشوائب وتبقي الجوهر وحده يبرق كالشمس من شدة الإلتماع..! المؤمن يتعرض لأعبائه دون وجل مادام سائراً على منهج الله حتى لو كان وضعه في الدنيا يشبه الذهب وسط الأتون ففي ذلك تخليص له من العناصر الدخيلة والأوضار ومن ثم استحقاق الدرجات العليا في رضوان الله.

إنه الفلاح حقاً..

أولاً- أن تؤدي الإمتحان موفقاً.

ثانياً- أن تنال الدرجة العليا.

ثالثاً- أن يصدر الرضا من الله.

رابعاً- أن تنجو من السخط والعذاب.

خامساً- أن تظفر بالنعيم الأبدي.

قل لي بربك : ماذا يساوي كل جهد التزكية وآلامها في عمر دنيوي قصير الى جانب أكرم الجزاء وأسخاه في حياة الخلود العظيم..!؟ بل إن ذرة من رضى الله تعالى تهون بجانبها كل متاعب الدنيا وكل الشدائد والآلام لو كنا منصفين..! فأي فلاح عظيم هو حيازة رضى الخالق الكريم أبداً ..!؟

## خسران الروح

أما الانسان غير المؤمن بالمنهج الإلهي فيرضخ لثقلة الجسد وفوران المادة غير ملتفت الى ضرورة ابقاء الروح مجابة دواعي الخير عامرة بصلاح الحال مصانة المستقبل الأبدي..!

إنه لا يفكر بمدى أبعد من لذائذ البطن والفرج الآنية أما عواقب الأمور فكأنها لا تعنيه اطلاقاً..! يقول تعالى :«وقد خاب من دساها»[14].. لقد طمست بسوء فعله كل البواعث الكامنة في الروح التي تدعوه الى طريق الهدى وأداء أمانة الخالق على النحو المطلوب والحرص على سلامة العقبى..!

لقد نفخت الروح في هذا الإنسان رحمة فإذا به يحولها الى نقمة ، كيف..؟

(12) الآية ١٤ سورة يونس.
(13) الآية ٩ سورة الشمس.
(14) الآية ١٠ سورة الشمس.

إنه يأكل ويتمتع ويلتذ بلا مراعاة للحلال والحرام معتقداً أن المهم هو أن يعيش دنياه - لقد سمعت كثرة يرددون بلا مبالاة (اطعمني اليوم واذبحني غداً) - فيموت أخيراً ، إن جسمه يخمد ولكن روحه تظل حية فتنتقل الى العالم الآخر ممثلة لصاحبها الشقي لتتجرع الخسران عذاباً بأمر وأفظع وأدوم ما يكون..!

## أســرار عميقة

### السر في السماوات والأرض

ما أكبر وأوسع وأرهب عالم السر الواقع وراء التصور الإنساني ..! إن عظمة هذا العالم لتبدو هائلة في أبسط قطرة من ماء وأضأل ذرة من تراب..! فما أضخم مكامن الأرض كلها ..! وما أعصى السر في السماوات العلى البعيدة..!

إن المحيط بعالم السر في السماوات والأرض لهو خالق كل شيء باقتدار لامثيل له وعالم كل شيء بإحصاء لأتأى التفاصيل.

الله تبارك وتعالى يقول إن عالم السر في السماوات والأرض يقع في حيز قدرته «وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا.. قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً»(١).

لدى دحض أقاويل المبطلين ومزاعمهم الباطلة نحو القرآن ذكر رب العزة والجلال أن علم السر في السماوات والأرض لا يملكه أحد سوى منزل هذا الكتاب..!

وما أحسن التنويه بإمتلاك السر هنا عند دفع فرية كتلك ..! فالكتاب معجز لأنه لايضارع ، وما دام منزله عز وجل ينفرد بامتلاك السر في عالم واسع هائل هو السماوات والأرض فأنى يمكن لأحد مضارعته..؟!

والأمر ليس صفة تدعى فحسب وانما قراءة القرآن الماثل بين أيدينا تكفي لإثبات أن منزله وليس من أحد سواه هو العليم بالسر في السماوات والأرض بكل التمكن وأنه لا تخفى عليه في الكون خافية اطلاقاً.

ومسألة علم السر في السماوات والأرض لا يعطيها أحد استحقاقها من التقدير والاحترام مثل العلماء وأولي الألباب إذ أنهم يعرفون أكثر من سواهم أي قدرة تلك التي تهيمن على الوجود بما فيه عالم السر في السماوات والأرض..!

صحيح أن الله تعالى قد دحض أقاويل الجهلة السفهاء ولكن الرد عليهم جاء يخاطب أولي القدر الرفيع في العلم والفكر والعقل.. الجهلة والسفهاء إن اقتنعوا أو

---

(١) الآيتان ٥ و ٦ سورة الفرقان.

لم يقتنعوا فهم وما أرادوا ، أما دفع فرية تمس القرآن فقد جاء ليحظى بإنصاف من هم الناس فعلاً..!

إن الله «كان غفوراً رحيماً» يغفر جهل التائبين ويرحم المنيبين اليه ، ولو أنه يؤاخذ الناس بما يعلمه هو بلا غفران ورحمة لما أبقى منهم أحداً..!

## خائنة الاعين وما تخفي الصدور

القاء نظرة نحو شيء هو مما يحتمل مقاصد عديدة ، فليس المظهر الخارجي وحده بكافٍ لتفسير مرامي تلك النظرة وبيان الغرض منها.. فالنظر - مثلاً - الى انزال الميت في القبر ما حقيقته في قلب شقيقه..؟ أهو لتحصيل العبرة بأن هذا المصير سيتناول جميع الناس قريباً دون استثناء أحد منهم..؟ أم هو سخط على قضاء الله تعالى ..؟ أم هو الراحة بهلاك ظالم..؟ أم هو الألم بفقدان عزيز طيب الذكرى ..؟ أم هو الفرح بحيازة أموال تورث..؟ الخ..!

الله جل وعلا وحده هو العارف بحقيقة النظر وما رمى اليه وما انطوى عليه وإن توارى بعيداً عن أفهام الناس أو تخفى بين الجوانح لا يطلع عليه أحد..!

إن هذا العلم ضروري لمن هو الخالق الحسيب الحق العدل.. انظر «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب.. وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.. يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير»[٢].

أنت لو قرأت كل كلمة في هذه الآيات لتأدى اليك أن العلم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور شأن لايملكه إلا من يملك مجازاة كل نفس بما كسبت وأنه لمن دواعي الحق والعدل وأنه لمن اقتدار السميع البصير..!

اخفِ ما شئت عن الناس أيها الانسان واضمر في بواطنك ما شئت فإنك مكشوف أمام الخالق سبحانه وتعالى مؤاخذ بما تستحق ولا تحسب الأمد طويلاً لأن الله سريع الحساب مهما تباعد الزمان..!

## السر وأخفى

يقول تعالى :«له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى»[٣].

(٢) الآيات ١٧-٢٠ سورة غافر. (٣) الآيتان ٦ و ٧ سورة طه.

الله تعالى مالك الكون بأسره.. أما حين يقول لعباده إن السماوات والأرض ملكه فهو جذب لأنظارهم الى خلق هائل لا يحسون إلا بجزء ضئيل جداً من بعضه ليكون تصورهم لما هو وراء ذلك أشد ضخامة ..!

الأرض ليست صغيرة إنها عوالم كبرى بكل ما تحتويه إلا أنك عندما تقف في الفضاء الخارجي تجدها ذلك الجرم الصغير الحجم قياساً الى أمها الشمس التي تكبرها مليون مرة وقياساً الى المجرة ذات المئة مليار جرم أحدها الأرض وقياساً الى المجرات المعدودة بآلاف الملايين وربما أكثر..!

وهذه ليست كل السماء الدنيا المزينة بمصابيح هي الأجرام التي نشاهدها والتي نتوقعها بل هي جزء قد يكون جدً ضئيل في هذه السماء ..!

فكيف بالسماء الثانية ..!! وكيف بالسماوات العلى ..!! إنها كون ضخم فوق التصور..! هذه السماوات والجرم الذي تعيش فوقه أيها الإنسان هما لله تعالى كل ما فيهما له حتى الموجود تحت الثرى..! له الذي تراه والذي يقع وراء الأفق خارج رؤيتك والمطمور تحت ما تقف عليه من سطح الأرض..!

وهو تعالى يعلم السر وأخفى من السر..! ماهو الأخفى..؟ إذا كان هناك سر يطلع عليه أكثر من واحد ، وإذا كان هناك سر قابل للإعلان ، فهناك أسرار لا يعرفها أحد في الوجود إلا الله تبارك وتعالى لأنه الخالق المدبر وحده..!

ولماذا نذهب بعيداً .. أتدري أيها الإنسان كم في جسمك من أسرار..؟ هناك منها المكتشف تباعاً كالاعضاء والأجهزة وأفعالها والحكم من ورائها وهناك المتعذر اكتشاف كنهه مطلقاً كالروح..!

فأنت لو نظرت الى نفسك في هذا الأمر لتصورت هالة السر تملأ الوجود كله المحسوس والمتوقع والمجهول والذي استأثر بعلمه الخالق دون إطلاع أحد عليه..!

هالة لا أكثر..! وتتصورها فقط لا أكثر..! وربما لا يتجاوز تصورك ذرة من تلك الهالة لا أكثر..! لا تظن هذا بالشيء اليسير ..! إنه كافٍ لأن يسهم في إمداد القلب بإجلال الخالق وهيبته جل وعلا..!

## خزائن كل شيء

يقول تعالى :«أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون»[٤] «ولله خزائن السموات والأرض»[٥] «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر

(٤) الآية ٣٧ سورة الطور. (٥) الآية ٧ سورة المنافقون.

معلوم»[6].. إن مالك الخزينة مسيطر فعلاً..!

فلله تعالى خزائن السماوات والأرض..! وكم خزائنهما..؟ لا أحد منا يملك الجواب القاطع سوى أن يردد باعجاب المستيقن الخاشع : ما أضخم هذه الخزائن وأعزمالكها..!

بل ما من شيء إطلاقاً في هذا الوجود إلا عند الخالق الأحد خزائنه..! وهو وحده المتحكم بهذه الخزائن العارف بمحتوياتها لأنه هو المنزل منها على الخلق بقدر يجعل الكون يمضي قدماً على أروع ما يكون الوجود..!

(٦) الآية ٢١ سورة الحجر.

# أوصاف قرآنية
# للمؤمنين بالغيب الإلهي
## العلم

### الراسخون في العلم

يقول تعالى :«ولكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك... »(1).. في الآية صنفان :

أولاً- الراسخون في العلم.

ثانياً- صادقو الرغبة في التماس الإيمان،

كلاهما يؤمن بالمنهج الإلهي كله.. فنفهم أن الرسوخ في العلم يمنح صاحبه صدق الرغبة في التماس الايمان مثلما أن قلة العلم مع صدق الرغبة لاتعرقل إيمان صاحبها..!

الراسخون في العلم أفضل لأنهم قدموا في الآية مع الإشادة بصفتهم..وهكذا تكون الصلة الوثقى بين المنهج الالهي الأوحد وبين الناس هي العلم الرصين العميق الصحيح أو صدق الرغبة في التماس الإيمان مهما كان مستوى العلم لدى صاحبه ..!

لماذا يغني الرسوخ في العلم ..؟ لأن كلام الله تعالى صادر ممن هو خالق العلم ورب العلماء فهو شعلة في العلم متوهجة يفيض نوراً وبصائر وهدى لايعرف قدره أحد كالعلماء الحقيقيين، لأنهم يميزون جيداً بين كلام يقوله البشر وبين آخر يقع وراء قدرة البشر مما ينفرد به الخالق تبارك شأنه فهم لذلك لا يترددون في الإيمان به..!

سمع الفلكي المشهور جيمس جينز من أحد جيرانه وهو عالم هندي مسلم قول الله تعالى :«الم ترَ أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود.. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء»(2) فاستوقفه الشطر الأخير «إنما يخشى الله من عباده العلماء» معرباً عن عجبه الشديد بقوله :(إنه الأمر الذي كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة استمرتا خمسين سنة فمن أنبأ محمداً به وهو رجل أمي عاش قبل أربعة عشر قرناً..!؟ اكتبوا شهادة

(1) الآية ١٦٢ سورة النساء. (2) الآيتان ٢٧ و ٢٨ سورة فاطر.

مني أن القرآن موحى من عند الله)[٣].

يقول تعالى :«ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد»[٤].

ما عقيدة هذا العالم الفلكي ..؟ إنه يفصح عنها بقوله :(عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله يبدأ كياني يرتعش من الجلال الإلهي ، وعندما أركع أمام الله وأقول له : إنك لعظيم..! أجد أن كل جزء من كياني يشاركني هذا الدعاء ، وأشعر بسكون وسعادة عظيمين ربما لا يتوفران لدى الكثيرين..!)[٥].

ويقول عالم الأحياء ألبرت ماكوب ونشستر: (إن اشتغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله حتى صار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان عليه من قبل ، ليس من شك أن العلوم تزيد الإنسان تبصراً بقدرة الله وجلاله ، وكلما اكتشف الإنسان جديداً في دائرة بحثه ودراسته ازداد إيماناً بالله)[٦].

ويقول مكتشف قوانين الجاذبية اسحق نيوتن :(إن التفرع في الكائنات وما فيها من ترتيب أجزائها ومقوماتها وتناسبها مع غيرها ومع الزمان والمكان لايمكن أن يصدر إلا من حكيم عليم)[٧].

ويقول عالم الطبيعة ميريت ستانلي كونجدن :(إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته.. وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته.. ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل اليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته)[٨].

**الحكم عن إحاطة**

يقول تعالى :«بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله..»[٩].. هؤلاء كذبوا بالقرآن اعتماداً على باعث الهوى ورجماً بالظن ، فهم يفتقدون العلم بفحوى كلام الله تعالى وتلمس حقائقه ولم يكلفوا أنفسهم عناء اختبار ما تحدث

(٣) نقلاً عن (الاسلام يتحدى) ص٢٢٧.
(٤) الآية ٦ سورة سبأ.
(٥) نقلاً عن (الاسلام يتحدى) ص٢٢٧.
(٦) نقلاً عن (الطب محراب الايمان) الجزء الاول ص٢٥٧.
(٧) نقلاً عن المصدر نفسه ص٢٥٨.
(٨) (الله يتجلى في عصر العلم) ص٢٠
(٩) الآية ٣٩ سورة يونس.

عنه ولم ينتظروا مصداقه على صعيد الواقع..!

أبهذا الأسلوب التافه يجري التعامل مع الأشياء ..!؟

أبهذا المنهج السخيف يستخرج الحكم على الحقائق ..!؟

ولما يشنع القرآن بهؤلاء لأنهم تحدثوا بغير علم وحكموا بالهوى والظن فإنه يحدد للمؤمن طريقة مثلى حقاً يلزمه أن يتخذها قاعدة في كل شيء ..!

يقول تعالى :«ولا تقفُ ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً»[10].. لا يصح اتخاذ موقف من شيء دون علم به ولا يجوز اعطاء حكم عليه دون إحاطة ولا يحل اتباع لمقتضياته دون اقتناع هو أداء للمسؤولية..!

وإلا فإن المرء سيحاسب بشدة على أمانات أودعها الخالق عز وجل في كيانه كالسمع والبصر والعقل والقلب إن لم يستخدمها على النحو الحسن ، فلأي فائدة أعطيت أجهزة كتلك ..!؟

هكذا يحكم القرآن سلوك أتباعه ..!

كل شيء موضوع تحت طائلة الرصد والمحاسبة فإما حسن يكافأ عليه المرء وإما إساءة تستلزم العقاب إن لم يستغفر صاحبها ربه ويحظى بعفو منه..! أتدري كيف..؟ «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»[11]..! أي قول يلفظه الانسان في حياته يسجل في الحال إما له وإما عليه..!

## تفاضل المؤمنين بعلمهم

قد تتساءل : كيف يتفاضل المؤمنون بالعلم والله تعالى يقول :«إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[12]..؟

هذا صحيح ، ولكن :«إنما يخشى الله من عباده العلماء»[13]..! فزيادة علم المؤمن تجعله أخشى لله تعالى ..! وعندئذ : «هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون»[14]..!؟

طبعاً لا يستوون.. ! بشرط : أن لايقصد بزيادة العلم وفرة المعلومات التي تزحم الذهن فقط وإنما الانتفاع بالحصائل العلمية تفتحاً أكثر في البصيرة وتحديداً الازدياد إجلالاً للخالق جل شأنه بما يظهر على صفحة التفكير والسلوك في مجال التصور والتطبيق..!

(١٠) الآية ٣٦ سورة الاسراء. (١٢) الآية ١٣ سورة الحجرات. (١٤) الآية ٩ سورة الزمر.
(١١) الآية ١٨ سورة ق. (١٣) الآية ٢٨ سورة فاطر.

# الحرص على الإيمان

## اتباع الأحسن

يقول تعالى :«والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادِ.. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب»[1].

رأوا الباطل منتفشاً في طغيانه يراد له أن يعبد بدلاً من الله تعالى فهالهم الأمر لاسيمّا أنهم تذكروا عظمة الخالق عز وجل المالئ بجلاله كل الوجود..!

كيف رفضوا ؟استمعوا لكل ما يطرح بهذا الصدد فاختاروا أحسن ماهناك !

فالباطل شيء تافه متهافت كما يرون ، أما الله تعالى من له الخلق والأمر فإنه الحق الجليل الرصين فلم يجدوا أي بد من الرجوع اليه..!

هل أنهم كانوا يعرفونه سابقاً..؟ ليس أكثر من معرفة فطرتهم..! وكيف تأتى لهم ذلك الأسلوب الرفيع..؟ لأنهم «أولو الألباب».. فأسلوبهم وليد علم وخبرة وإنصاف وجد وطلب لمعالي الأمور..!

«أولئك الذين هداهم الله».. فقوانين الهداية التي أطلقها الخالق سبحانه في هذا الكون لابد أن تفعل فعلها القوي عندما تجد الأسباب اللازمة قد توفرت..!

## هدى الله

وما أن يغادروا عالم الضياع والحيرة والبؤس داخلين في ولاء الخالق المعبود جل وعلا يتجلى أمامهم نور الهداية ساطعاً..! فماذا يجدون..؟ «إن هدى الله هو الهدى»[2].. إنه الهدى الأوحد في الكون..!

«ومن يهدِ الله فما له من مضل»[3].. إنه عهد من الله مادام المرء ملتزماً كلمة الإيمان..! وليس هناك إمرؤ آمن فأفاض الله تعالى عليه الهدى ثم نكص لعدم كفاية الهدى في طريق الحياة ودياجيرها وأمام تيارات الضلال المتلاطمة..! النكوص إن حصل فله سبب آخر يكمن في نفس الإنسان واختياره.. العليم الخبير سبحانه يقول :«وكفى بربك هادياً»[4].

وأي ظلام يبقى دون تبديد في طريق المؤمن إذا كان الله تعالى خالق كل شيء قد منحه نوراً من عنده وهدى ..!؟ «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين..

---

(١) الآيتان ١٧ و ١٨ سورة الزمر.
(٢) الآية ١٢٠ سورة البقرة.
(٣) الآية ٣٧ سورة الزمر.
(٤) الآية ٣١ سورة الفرقان.

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم»[٥].

### سلوك الصراط المستقيم

يقول تعالى :«وإنك لتهدي الى صراط مستقيم.. صراط الله الذي له مافي السموات وما في الأرض ألا الى الله تصير الأمور»[٦] «ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم»[٧].

صراط من اعداد الله تعالى لاشك أنه لمستقيم..! لأن صراطاً يعده مالك السماوات والأرض الذي اليه ترجع كل الأمور ليس كصراط يعده بشر لايملك شأن نفسه هو ولم يستدبر ويستقبل من أمره شيئاً..!

وإنك أيها الانسان بغير الله تكون عرضة للأهوال وسط الظلمات والتيه والانحراف فما أن تعتصم به عز وجل تلجأ الى قلعة الأمان مهدياً الى صراط مستقيم..!

### ابتغاء حسن العاقبة

لماذا يتبع المرء الأحسن ..؟ ولماذا ينتفع بهدى الله..؟ ولماذا يلزم سواء الصراط ..؟ أليس ابتغاء حسن العاقبة..!؟ وما أحسن عاقبة الانسان عند الله إذا هو اتبع الأحسن منتفعاً بهداه سالكاً صراطه المستقيم..!

يقول تعالى :«من جاء بالحسنة فله خير منها»[٨] «جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب.. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»[٩].

## اتباع الحق

### مصدر الحق ومقياسه

هناك حق واحد وأباطيل بلا عدد تتسمى أحياناً بالحق الأوحد المبين..! ولكن عندما نتحرى مصدر الحق ومقياسه يزول اللبس ، كيف..؟

لو سئل المؤمن بالمنهج الإلهي عن مصدر حقه لقال : إنه من عند «الله الملك الحق»[١].. ولو قيل له : ما مقياسك في هذا الاختيار..؟ لقال : إن الله هو خالق

(٥) الآيتان ١٥ و ١٦ سورة المائدة.
(٦) الآيتان ٥٢ و ٥٣ سورة الشورى.
(٧) الآية ١٠١ سورة آل عمران.
(٨) الآية ٨٤ سورة القصص.
(٩) الآيتان ٢٣ و ٢٤ سورة الرعد.
(١) الآية ١١٤ سورة طه.

كل شيء وبيده مقاليد الكون كله أفلا يكون له الحق إطلاقاً..!؟

«إنه الحق من ربنا»[٢].. أي سلطان أكبر من الربوبية..!؟ وأي حق يضاهي ذلك الصادر من رب الوجود..!؟ «وقل الحق من ربكم»[٣].

وهذا تبليغ حمله الينا رسول كريم بأن نأخذ الحق المنزل من ربنا وندع سواه، فمن لم يستدل على الحق الإلهي بفطرته وأنوار العلم وبصائر العقل فإن التبليغ الرسالي يساعد على الإستدلال أولاً ويقيم مزيد حجة على العباد ثانياً..! و «قل: ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل»[٤].

وبعد التبليغ فللمرء ما يختاره متحملاً وحده نتائج ذلك، فإن اهتدى كان مؤدياً حق ربه ونائلاً أحسن الجزاء في الدار الآخرة، وإن ضل كان جاحداً حق ربه وملاقياً أقسى العقاب بعد انقضاء أجله..!

أما غير المؤمن بالمنهج الإلهي إذا سئل عن مصدر ما يسميه (حقاً) وعن حجة هذا (الحق) المزعوم فما عساه أن يقول:..؟ أهناك سلطان يدعيه أكبر من الربوبية..!؟ أم هناك حق أنفس مما أنزله خالق الناس..!؟

## الله هو الحق

يقول تعالى: «ذلك بأن الله هو الحق»[٥] «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين.. ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون»[٦] «نزل عليك الكتاب بالحق»[٧] «قوله الحق»[٨] «الله يهدي للحق»[٩] «إن وعد الله حق»[١٠] «ويحق الله الحق بكلماته»[١١] «والوزن يومئذ الحق»[١٢].

## من الحق بالاتباع؟

الخالق أم المخلوق..؟ المنعم المتفضل أم المحتاج الفقير..؟ الماسك بمقاليد الكون كله أم من هو ذرة..؟ الحق المبين أم الباطل المفضوح..؟ ذو الآيات المحكمة التي تشمخ برصانتها على امتداد الزمن الطويل أم الذي يتضارب قوله في الحال

(٢) الآية ٥٣ سورة القصص.
(٣) الآية ٢٩ سورة الكهف.
(٤) الآية ١٠٨ سورة يونس.
(٥) الآية ٣٠ سورة لقمان.
(٦) الآيتان ٣٨ و ٣٩ سورة الدخان
(٧) الآية ٣ سورة آل عمران
(٨) الآية ٧٣ سورة الانعام.
(٩) الآية ٣٥ سورة يونس.
(١٠) الآية ٥٥ سورة يونس.
(١١) الآية ٨٢ سورة يونس.
(١٢) الآية ٨ سورة الاعراف

وينقرض بعد حين..؟ ثم «أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لايهدي إلا أن يهدى»[١٣]..!؟ «فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال»[١٤]..!؟

## الالتزام الكامل الحسن

### الايمان العام

المسلم الجدير بهذا الوصف لا يؤمن بقسم من المنهج الالهي يحلو لمزاجه ويدع الآخر إذا عكر هذا المزاج وإنما هو يؤمن بالمنهج كله حسبما قرر الله تبارك وتعالى :

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً»[١].. فالاسلام يقتضي الايمان التام..!

أما خلاف هذا فلا يقبل.. يقول تعالى :«أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون»[٢] «الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون»[٣].

### الالتزام الكامل

وكذلك الالتزام إن لم يكن فعلياً ويشمل مفردات المنهج كلها دون استهانة بأي منها أو جحود لم يغن شيئاً عن صاحبه اطلاقاً.. يقول تعالى :«ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»[٤] «ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين»[٥] «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور»[٦] «وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء»[٧].

### حسن الأداء

ولايقف الأمر عند أداء العمل كيفما اتفق تخلصاً من العبء وإنما هناك شرط الاخلاص في إجادة الأداء بكل ما يسع المرء من جهد وتمكن..! لماذا ..؟ لأن الأداء هو أمانة..! وأنه (لا إيمان لمن لا أمانة له)[٨].

---

(١٣) الآية ٣٥ سورة يونس.
(١٤) الآية ٣٢ سورة يونس.
(١) الآية ٣٦ سورة الاحزاب
(٢) الآية ٨٥ سورة البقرة.
(٣) الآية ٥١ سورة الاعراف
(٤) الآيتان ٢ و ٣ سورة الصف
(٥) الآية ٨ سورة البقرة
(٦) الآية ٢ سورة الملك.
(٧) الآية ٥٨ سورة غافر
(٨) رواه أحمد.

# التقوى

## اتقاء غضب الله

يقول تعالى: «ومن يطع الله ورسوله ويخشَ الله ويتقـهِ فأولئك هم الفائزون»[1].. المؤمن يخشى الله تعالى فهو يتقي غضبه ويلتمس رضاه في أداء الطاعات، لماذا..؟ لأنه يستشعر هيبة ذي الجلال والإكرام..! ويعرف من هو الله فيتحاشى التعرض لغضبه ..! وبذا يكون جديراً بالفوز في الدنيا والآخرة..!

## إخلاص العبادة للخالق

يقول تعالى: «يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته»[2] «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين»[3] «ولا يخشون أحداً إلا الله»[4].

عبادة الخالق باخلاص هي صميم التقوى، وهذا الأمر لا يتسنى إلا لمؤمن يفرد ربه الكبير المتعال عز وعلا بالخشية، فالتقي مؤمن بصير قوي إذن..!

## اجتناب ضرر النفس

وأول اجتناب لضرر النفس وأضخمه هو توقي سخط الله في الدنيا وعقابه يوم الحساب «والذين هم من عذاب ربهم مشفقون»[5] وبذلك يتحقق للتقي حفظ النفس من ضرر الآثام والشرور والخبائث أيضاً.

## من مظاهر التقوى

يقول تعالى: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»[6] «إنما يخشى الله من عباده العلماء»[7] «يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[8] «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون»[9] «يأأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً»[10].

«اعدلوا هو أقرب للتقوى»[11] «وأن تعفوا أقرب للتقوى»[12] «فما

(١) الآية ٥٢ سورة النور.
(٢) الآية ١٠٢ سورة آل عمران
(٣) الآية ٥ سورة البينة.
(٤) الآية ٣٩ سورة الاحزاب.
(٥) الآية ٢٧ سورة المعارج.
(٦) الآية ١٧٧ سورة البقرة.
(٧) الآية ٢٨ سورة فاطر.
(٨) الآية ١١٩ سورة التوبة
(٩) الآية ٣٣ سورة الزمر.
(١٠) الآية ٢٩ سورة الانفال.
(١١) الآية ٨ سورة المائدة.
(١٢) الآية ٢٣٧ سورة البقرة.

استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين»[١٣] «وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[١٤] «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»[١٥] .

فماذا نجد من مظاهر التقوى ..؟

أولاً- أفعال البر متعلقة بالايمان التام ومقتضياته.

ثانياً- الصدق والتصديق.

ثالثاً- العلم.

رابعاً- نور البصيرة.

خامساً- العدل .

سادساً- الاستقامة مع الأعداء.

سابعاً- النصر.

ثامناً- التواضع.

تاسعاً- العفو.

عاشراً- الإصلاح.

**لباس التقوى خير**

يقول تعالى : «يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون»[١٦] .. اللباس يغطي الجسد .. ولباس يغطي القلب أيهما أولى بالاهتمام ..؟ كلاهما مهم ولكن لباس التقوى خير..! مزايا التقوى لباس فيه جمال ورضا وزكاة في الأرض والسماء بين الناس وأمام الملأ الأعلى في الدنيا والآخرة..!

إن قطع القماش وسواها التي تستر أجسادنا وتجمل ظاهرنا تكاد لاتساوي شيئاً يذكر إزاء ذلك اللباس الخفي الظاهر ..! إن قماش الدنيا كله لايزن خردلة أمام معطيات التقوى الجمة ذات النفائس على صعيد السلوك والتطبيق للفرد والجماعة..!

**خير الزاد التقوى**

يقول تعالى : «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب»[١٧] ..

---

(١٣) الآية ٧ سورة التوبة. (١٥) الآية ٨٣ سورة القصص. (١٧) الآية ١٩٧ سورة البقرة.
(١٤) الآية ١٢٨ سورة الاعراف. (١٦) الآية ٢٦ سورة الاعراف.

التقوى زاد المؤمن ، به يشتد ثباته على الحق ويتعاظم سعيه في ابتغاء رضوان الله تعالى .. إنه زاد لأهم وأطول وأشق رحلة يقطع بها الإنسان دنياه انتقالاً الى الآخرة حيث المصير الأبدي..!

ولا يعرف أحد اهمية هذا الزاد مثل أولي الألباب ولا ينتفع به أحد كانتفاع هؤلاء لأنهم أكثر من سواهم علماً وخبرة وجداً..!

## الخشـوع

### رهافة الحس

حس المؤمن طليق ، إنه غير مكبل بقيود الأهواء الطائشة وغير مغطى بركام الشهوات الآثمة.. وكونه مرهف الحس يجعله يستشعر المعاني العلوية دائماً ويحلق في رحابها ليتنسم عبير الحياة الفضلى..!

### طهر الباطن

اتصاله القلبي المتواصل بالخالق عز وجل يجعل باطنه نظيفاً باستمرار لأنه موضع مناجاة القدوس وذكره باخلاص وتجرد ، فهو إذا اقترف خطيئة واكتسب إثماً يشعر بمرارة الفعل ويروح يستغفر ويندم تائباً حتى يحس برضا الله يدب في أوصاله..!

### إكبار الله

إنه لايرى شيئاً في الكون أعظم من الله تعالى فالكل له عبيد وملكه.. وبفعل هذا اليقين نجد المؤمن يكبر مقام ربه ، فهو حين يطيع يستحضر هيبة المعبود ، وحين يخطئ يهوله سخط الجبار ، ولا يقر له قرار حتى يصلح ما أفسد بحسنة تتبع السيئة وتمحوها ، وعندما يقف في صلاة أو يدعو الله أو يذكر اسمه آناء الليل وأطراف النهار يملأ الخشوع كيانه بفعل الإحساس بسمو معاني الكلمات ولأنها خطاب موجه من عبد ضئيل جداً الى الخالق المنعم المدبر العلي القدير عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم..!

## السماحة

### نفس غير شحيحة

شح النفس يجعل فقر المرء بين عينيه.. والمؤمن معافى من هذا الداء المعيب لأنه يعتقد «إن الله هو الرازق ذو القوة المتين»[1] و «ما عندكم ينفد وما عند الله

---

(١) الآية ٥٨ سورة الذاريات.

باقٍ»[٢].. فالذي يهمه هو التصرف السليم بما بين يديه من ودائع ربانية ونعم وأفضال ، إنه لا يأخذ شيئاً معه عندما يغادر الدنيا سوى العمل الصالح مكتوباً في صحيفته ، أما الأموال فهي باقية حيث توزع بعده على مستحقيها الوارثين ، ومن هنا فهو حريص على إنفاق فضلة الرزق في وجوه البر ابتغاء رضوان الله بعد أن يؤدي الحقوق التي عليه كلها من قيام حسن بكفالة النفس والبيت وسد معقول لحاجات العيال وإخراج الزكاة الى أصحابها المعوزين في موعدها .

يقول تعالى :«الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٣].

وفي الحديث النبوي (إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى)[٤] (أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله..؟) قالوا : يارسول الله مامنا أحد إلا ماله أحب اليه.. قال :(فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر)[٥].

وفي الحديث القدسي يقول ربنا :(ياعبدي أنفق أنفق عليك ، يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض..؟ فإنه لم يغض ما بيده)[٦].

## الجود بالأغلى

بل إن أمر الانفاق عند المؤمن يتجاوز الأموال الى النفس وهي أغلى وديعة لديه.. فهو يبذل نفسه رخيصة في سبيل الله عندما يتطلب الأمر ذلك ولا يبالي مادام الخالق عز وجل هو الداعي واليه المصير وعنده الجزاء الأوفى..!

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»[٧].

## ملامح النقيضين

أولاً- المؤمن الذي يخضع حياته كلها لمنهج الله بكل تصرفاته يرى أن كل شيء يحصل في دنياه والكون كله إنما بمقادير الله ولذا فهو مطمئن القلب في سعيه مرتاح البال إزاء النتائج.. أما غيره فيرى الدنيا مظنة انتهاب الأقوياء

(٢) الآية ٩٦ سورة النحل. (٤) رواه مسلم. (٦) رواه البخاري.
(٣) الآية ٢٧٤ سورة البقرة. (٥) رواه البخاري. (٧) الآية ١١١ سورة التوبة.

فلا يلتزم بمنهج سديد ولا يحفل بحراسة ضمير ويكون أشبه بلص يتخفى وراء الأقنعة غارق في بحر متلاطم من الشرور..!

ثانياً- المؤمن يتعامل مع الحقائق الخالدة كتلك التي يزخر بها المنهج الإلهي ويعتبرها أهم أشياء حياته فيمتلئ بالعز والرفعة والرضا.. أما غيره فيتعامل مع المتاع الفاني وأشغال اللهو التافه حريصاً على دنياه حد الموت يملؤه دائماً سعار الذل والتهافت والصغار..!

ثالثاً- المؤمن يهمه إرضاء الإله المغني المنعم المجزي ، وغير المؤمن لا يهمه إلا اللهاث وراء نهم البطن والفرج فقط لايبالي بحلال أو حرام ولا يكترث لسخط الرقيب الحسيب وعقابه وعذابه..!

رابعاً- المؤمن راسخ اليقين برزق وتدبير الله ، فهو يرى إن المنعم بنسمات الهواء مثلاً وهي عطاء هائل القيمة لأكرم وأقدر على الإنعام بكل ماسواها.. أما غير المؤمن فقد حرم نفسه هذا الإعتقاد فطاش صوابه فهو كالمجنون المذعور لا يحسب أن النعم تأتيه من خالق مدبر واسع قدير وإنما يظن واهماً أن كل شيء يحاز بقوة الساعد والشطارة..! . .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :(نشر الله عبدين ممن أكثر لهما من المال والولد.. فقال لأحدهما : أيْ فلانُ بنَ فلان.. قال : لبيك ربِّ وسعديك.. قال : ألم أكثر لك من المال والولد..؟ قال : بلى ، أيْ ربِّ.. قال : وكيف صنعت فيما آتيتك ..؟ قال : تركته لولدي مخافة العيلة..!! قال : أما إنك لو تعلم العلم لضحكت قليلاً ولبكيت كثيراً ، أما إن الذي تخوفت عليه قد أنزلت بهم.

ويقول للآخر : أيْ فلا نُ بنَ فلان.. فيقول : لبيك أيْ ربِّ وسعديك.. قال له : ألم أكثر لك من المال والولد ..؟ قال : بلى ، أيْ ربِّ.. قال : فكيف صنعت فيما آتيتك ..؟ قال : انفقت في طاعتك ووثقت لولدي من بعدي بحسن طولك..! قال : أما إنك لو تعلم العلم لضحكت كثيراً ولبكيت قليلاً ، أما إن الذي وثقت به قد أنزلت بهم)(٨).

---

(٨) رواه الطبراني.

# ختام

الغيب الإلهي أفق واسع جداً..نعم، ولكن لأجل اعطاء فكرة تغني اللبيب فقد حرصت على أطراف الموضوع وكلياته قدر المستطاع أما التفاصيل الدقيقة فلها مجالات أخرى وافرة للمستزيد.

اسألك ربي المغفرة والرضوان ولك الحمد والشكر والثناء حق قدرك الأعظم ، وصلِ وسلم وبارك على مبلغ الأمانة الكبرى وجميع من والاه في كل زمان كما يليق بشأنه لديك عدد ما تعلم أنه الأكثر والأدوم.